الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الفرع: دراسات أدبية التخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر الموسومة بـ:

صورة القوس في الشعر الجاهلي

زائية الشماخ "أنموذجا"

إعداد الطالبتين:

- نايلي سهام
- هبيلة فاطمة

إشراف:

د. بوشريحة إبراهيم

لجنة المناقشة	
أ.د/معزيز أبو بكر	رئيسا
أ.د/ صالحي جمال	مناقشا
أ.د/ بوشريحة إبراهيم	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية:

1440– 1441هـ الموافق لـ 2018– 2019م

Copie de contrôle

Confidential

كلمة شكر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

أشكر الله تعالى على فضله، حيث أتاح لنا إنجاز هذا العمل، فله الحمد أولا وآخرا

أشكر أساتذتنا الكرام الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، ومهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، وقدموا لنا الكثير طوال المشوار الدراسي، وأخص بالشكر والتقدير من كان نعم السند، بسعة صدره، وجميل صبره، وسديد رأيه، وقدرته على التحفيز د.بوشريحة إبراهيم.

كما أتقدم بعظيم الشكر لأعضاء اللجنة المناقشة، الذين تفضلوا بقبول مناقشة مذكرتي، وتقويم ما اعوج منها، وإثرائها بآرائهم القيمة.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من أسدى لي معروفا، وأعانني في إعداد هذا البحث.

Confidential

الإهداء

نهدي هذا العمل

إلى أستاذنا الكريم

بوشريحة إبراهيم

Confidential

مقدمة

بسم الله خير الأسماء، الذي علم القرآن، وخلق الإنسان، وعلمه البيان، وأصلي وأسلم على أفضل خلق الله لسانا، وأفصحهم بيانا، عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إنّ الشعر الجاهلي لم يكتب لأنّ الأمة كانت أمية، بل اتخذه الشعراء في مختلف العصور، فسلكوا مناهجه الفنية والأدبية، وقلّدوه ونظموا جلّ قصائدهم عليه، فالشعر في نظرهم ذكر لتاريخهم، ومفخرة لهم ولأخلاقهم، وصورة لصفاتهم ومحامدهم، فاعتبروه ديوانا لهم، فهو يختلف عن غيره من الشعر لأنّه تأصيل لأفق معرفية تساهم في صياغة عقلية الإنسان الجاهلي البدائي.

ومن المعروف أنّ الجاهليين كانوا يرفعون من منزلة شاعرهم، ويفتخرون بثلاثة أشياء، ميلاد فرس، ميلاد ذكر، ونبوغ شاعر في القبيلة، لأنّ الشعر كان يصف ألوان حياتهم الاجتماعية في العصر الجاهلي مخلدا آثار الحياة والأحداث ومظاهر التفكير في ذلك العصر.

ولا ننكر أنّ فهم الشعر الجاهلي، وتذوقه يواجه صعوبات كثيرة لصعوبة لغته، وأسلوبه رغم البساطة والصدق، والوضوح، وعدم التكلف، أو الإغراء في الأداء، وهذا ما يلفت النظر إليه والإعجاب به، واللذة في قراءته والاستماع إليه.

ولعّل متذوق الشعر الجاهلي يجده مرآة عاكسة للبيئة بعاداتها وتقاليدها، ومصورا لحياة العرب السياسية والدينية والاجتماعية، ومما لا شك فيه أنّ العرب أبدعوا في مختلف المجالات فكرية كانت أو أدبية أو اقتصادية، وخاصة في مجال الصناعة، فقد اشتهر العرب بالعديد من الصناعات، كصناعة الغزل والنسيج، والصياغة، وصناعة الأسلحة، كالسيوف والرماح، والقسّي والسهام، والدروع والخناجر، وغيرها من الأسلحة، وقد ركزوا على هذا المجال لكثرة الحروب عندهم.

كما أنّ القسي والنبال كانت أكثر الأسلحة اهتماما ووصفا عند الشاعر الجاهلي لما تحمله من معان ودلالات مختلفة، ولطالما اعتبرها الجاهلي أداتا نصر وغلبة عندهم، فقد كانت وسيلة لكسب عيشهم عن طريق الصيد، قبل أن تكون سلاحا في حروبهم، وهذا ما جعله محورا أساسيا في قصائد

Confidential

العديد من الشعراء الذين تفننوا في وصفه والتحدث عن أصله، ولونه، وصوته، ومن هؤلاء الشعراء أوس بن حجر، والشنفرى الأزدي، والشماخ بن ضرار الذبياني، فقد أبدعوا في ذكر سمات هذا الأخير، ووصف مقوماته، وأبعاده الجمالية، وبهذا تكون القوس قد خرجت عن المألوف في وجودها الشعري، ليترامى هذا الوجود إلى أفاق رمزية وأسطورية، جعلت منه محط الأنظار، وقد تجلت أهمية القوس في إبراز مقوماته ودلالاته الخفية، إضافة للكشف عن أسباب اهتمام الشعراء بهذه الأداة، واعتزازهم بها، فنجدهم قد اختلفوا في وصفها، فكان الشماخ من بين هؤلاء الشعراء الذّين أسهبوا في إفراد هذه الصورة بمختلف تشكيلاتها وتفرعاتها، وهذا ما سنجده في هذا البحث الذي حمل عنوان صورة القوس في الشعر الجاهلي "زائية الشماخ" أنموذجا، فهناك جملة من الدراسات عالجت هذا الموضوع، ولكنها تكاد تعد على أصابع اليد، أهمها وصف القوس في الشعر الجاهلي لفهاد بن محمد بن فهاد الدوسري، ومستويات الأسلوب في زائية الشماخ بن ضرار –القوس والطريدة– أنموذجا لرافعة سعيد السراج.

وللغوص في هذا البحث والتعمق في مجرياته نطرح مجموعة من الإشكاليات من بينها:

– فيما تجسدت ملامح القوس في الشعر الجاهلي؟.

–وكيف تجلت صورة القوس في بنية القصيدة؟وما دلالتها؟.

–كيف مثّل الشماخ صورة القوس في زائيته؟.

– ما هي أبرز القرائن اللغوية التي استعان بها الشماخ في وصفه للقوس؟

وللإجابة عنها اعتمدنا على خطة بحث كانت كالآتي:

المقدمة وكانت عبارة عن فكرة عامة حول الشعر الجاهلي وأبرز اهتمامات الشعراء آنذاك، ثم يليها المدخل وتطرقنا فيه إلى الحرب في القديم، و الشعر الجاهلي، وأهم الأغراض الذي اعتمد عليها الشعراء في كتابتهم للشعر، وقسمنا البحث إلى فصلين، الفصل الأول عنوناه بالصورة والقوس في

Confidential

الشعر الجاهلي ، عالجنا فيه الصورة الفنية والحرب في الشعر الجاهلي، ثم وصفنا فيه أدوات القتال، ويليه صورة القوس في لامية العرب، أما الفصل الثاني كان بعنوان زائية الشماخ"دراسة وتحليل"، وتضمن نبذة حول حياة الشماخ بن ضرار الذبياني، ثم عرجنا إلى مضمون القصيدة، فيليه دراسة وتحليل في القصيدة، وختمنا بحثنا بخاتمة حملت أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال دراستنا لهذا الموضوع، وقائمة المصادر والمراجع.

وخلال دراستنا لهذا الموضوع اتبعنا المنهج التحليلي الوصفي، وذلك لتوافقه مع هذه الدراسة،ومن جملة الأسباب التي دفعتنا إلى هذه الدراسة، هو الرغبة في معرفة التراث وحب الإطلاع على الشعر الجاهلي، ولهذا كان هدفنا إبراز المعالم الجمالية في الشعر الجاهلي، والإشارة إلى سمات القوس وما تعكسه تلك السمات من خصائص فنية جمالية، وتوضيح العلاقة الوطيدة التي تجمع القواس بقوسه في المجتمع الجاهلي.

كما واجهتنا خلال بحثنا مجموعة من الصعوبات أهمها:قلة الدراسات حول القوس في الشعر الجاهلي، وصعوبة فهم واستيعاب بعض مضامين الشعر القديم.

وفي الأخير نشكر الله عزّ وجل الذي وفقنا لإتمام هذا البحث، ونسأله التوفيق والسداد، كما لا ننسى أن نشكر الأستاذ الفاضل على مجهوداته وإرشاداته القيمة، وكل من ساهم في مساعدتنا من قريب أو بعيد.

تيارت يوم:

09 جوان 2019م

06 شوال 1441هـ

Confidential

Confidential

Confidential

مدخل

العصر الجاهلي من أقدم العصور وأثراها من حيث الزخم الفنّي أو الشّعري، الذي عرف واشتهر به، فالجاهليون كانوا ينشدون الشعر ويتغنون به على سليقتهم دون تكلف وتطلب.

وقد "قدّر عمر الشعر الجاهلي حوالي 150 سنة قبل الإسلام، وقد يزيد إلى مائتي سنة، أي أنه ظهر على هذه الصورة التي وصلت إلينا في حدود منتصف القرن الخامس الميلادي تقريبا، ولا شك أن ظهور الشعر الجاهلي ونموّه على تلك الصورة كان مواكبا لتوحيد لهجات القبائل العربية نجدية، حجازية، في لغة واحدة هي اللغة الفصحى التي روّي بها الشعر الجاهلي، ونزل القرآن الكريم بها"[1]،فكانت هذه اللغة تحديا لما بعدهم، وحجة عليهم دالة على عظمة الشعراء الجاهليين، وعلى حكمتهم التي لا مثيل لها بين اللغات الأخرى .

حيث كانت "هذه اللغة قوية في القرن الخامس الميلادي وروى بها الشعراء أشعارهم، في مختلف أنحاء الجزيرة على اختلاف قبائلهم وعناصرهم بين مضريين ويمنيين، والعجب في الأمر أنك تنظر في الشعر الجاهلي، فلا تفرق بين لغة شاعر وآخر، إلا في بعض الألفاظ والتراكيب"[2].

فالشعر الجاهلي كشف لنا عن حضارة القيم، من خلال معتقداتهم وأخلاقهم وسننهم ولباسهم، كما ارتبط هذا الأخير ببيئة شاعره وثقافته، وكذا الزمان والمكان.

فنجد جلّ الشعراء قد انتهجوا "منهجا واحدا حافظوا فيه على الشكل العام للقصيدة، وهو البدء بذكر الأطلال والبكاء ديار المحبوبات الغائبات، ومن العادات التي ميزت القصيدة الجاهلية ذكر الرحلة والراحلة بعد المقدمة الطللية، وهي تحتوي على مشاهد كثيرة تمر أمام بصر الشاعر وهو يطوي رمال الصحراء ويعبر دروبها وشعابها ووديانها"[3].

---

[1]- محمد زغلول سلام: مدخل إلى الشعر الجاهلي- دراسة في البيئة والشعر-، مطبعة الانتصار، (د.ط)، (د.ت)، ص:125.

[2]- المرجع نفسه، ص:126.

[3]- المرجع نفسه، ص:40.

Confidential

مدخل

كما كانت معظم موضوعات الشعر الجاهلي متصلة بظروف الحياة الجاهلية، ودور الشعر في هذه الحياة وتأثيراته، ولم يكن هذا الشعر مجرد غناء للشاعر، بل هو تعبير عن ذاته وأحاسيسه تجاه تلك الحياة والناس، فقد كان وسيلة من وسائل الحياة في ذلك المجتمع القبلي البدائي الأمّي، فهو وسيلة للدفاع والهجوم لأنّ الشاعر كان يقاتل بلسانه قتال الفارس بسيفه ورمحه، "فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها ومستودع علومها"[1]، فقد كان يسجل ما يعتقدونه من مفاخر ومدائح، وأولها عزة القبيلة الممثلة في قوتها وانتصاراتها.

يقول أحد الشعراء:

فَلَـــو أَنَّ قَوْمِـــي أَنْطَقَتْنِـــي رِمَاحـــهُمْ نَطَقْـــتُ، وَلَكِنَّ الرِمَـــاّحَ أَجَـــــرَتْ.

إنّ أرفع الأغراض الشعرية عند الجاهليين، الفخر والحماسة اللّذان يعتبران بابا لما بينهما من تشابه، وهي أغراض قوية الصياغة وعالية النّبرة، كما يعّد كل من أبو تمام و البحتري من الشعراء الذين تناولوا هذا الموضوع بإسهاب في أشعارهم، فنجد أن أبا تمام في ديوانه الحماسة قد تطرق إلى هذا الباب، وقد أورد أبو علي المرزوقي في شرحه لهذا الأخير "أنّ الحماسة هي الشجاعة، والفعل منه حمس ورجل أحمس، وكانت العرب تسمي قريشا حمسا لتشدّدهم في أحوالهم دينا ودنيا"[2].

ومما ورد أيضا في باب الحماسة، ما جاء به يحي الجبوري في كتابه الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، وذلك من خلال استقرائه لكتاب الحماسة للبحتري، فيرى أن الحماسة هي: "فن الحرب والقتال والتغنّي بصفات البطولة والرجولة، وركوب المخاطر وخوض غمرات القتال، ووصف ما في الحرب من كرّ وفرّ، وعدد وسلاح، ودماء وجرحى وقتلى، ودعوة إلى الحرب والأخذ بالثأر"[3].

ومن خلال ما سبق نجد أن البحتري قد وظّف هذه التفصيلات في كتابه تحت أربعة معان كبيرة وهي: الفروسية، والمراثي، والإخوانيات، وتقلبات الدهور ونوائبه، والأخلاقيات، ومن مجمل

---

[1]- أبو الهلال العسكري: الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1981م، ج/1، ص:104.

[2]- أبو تمام: كتاب الحماسة، شرح: أبو علي بن الحسن المرزوقي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1411هـ-1991م، المجلد1، ص: 21.

[3]-يحي الجبوري: الشعر الجاهلي -خصائصه وفنونه-، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط.8)، 1418هـ- 1997م، ص:297.

Confidential

الأمثلة التي استقيناها من كتاب الحماسة للبحتري قول الحارث بن ظالم المرّي الذي هو الآخر جسّد في شعره معاني الحماسة:

عَلَوْتُ بِذِي الحَيَّـــاتِ مَفْـرَقَ رَأْسِـــــهِ وَهَلْ يَرْكَــب المَكْــرُوهَ إِلَا الأَكَـــــارِمُ

فَتَكَـــــتْ بِـــــهِ لَمَـــا فَتَكَـتُ بِخَالِـــدٍ وَكَانَ سِلَاحِـي تَجْتَوِيـهِ الجَمَاجِـــــمُ[1].

فنجد الشاعر هنا يفتخر بأخلاقه المتمثلة في الشجاعة، وفي ركوب المكاره، والفتك بالأعداء.

ومما أورده البحتري في حماسته قول عدي بن حاتم حول إدراك الثأر والإشتفاء من العدو:

مِـــن مَبْلَغ أَفْـــنَاء مُذحَجِ أَنَّنِـــــي ثَأَرَت بِخَـــــالِيُ ثُمَّ لَـم أَتَأَثَّـــــمِ

تَـرَكْـــتُ أَبَـــا بَكْـــرٍ يَنُـــوءُ بِصَـــدْرِه بصفيـــن مَخْضُوب الكَعُـوبِ مِـنَ الـدَّمِ

يذْكُرُنِـــي ثَـــأْرِي غُدَاة لَقَيْتُـــــــه فَأَجْـرَرْتُهُ رُمْـــحِي فَخَرَّ علَـــى الفَـــمِ[2].

وهنا أثار الشّاعر مشاعر الامتلاء في إدراك ثأره، وهذه المتعة من المتعة المتعلقة بالشاعر والتي أظهرها صراحة.

يقول الطفيل:

يَـسْمُونَـــا بالجِـــيَادِ إِلَـــى الأَعَـادِي مَغَـــــــاوَرَةً بِحَّـــــــدٍ واغْتِصَـــابِ

نومـــهم عَـــلَـــى هَـــــوْل وَبعْـــــــد يَقُودُ يَطْلَعْـــــــنَ مِـــنَ النِّقَـــابِ[3].

كما برز غرض المديح بشكل واضح في أشعارالجاهليين،"وهو يعني الثناء على الممدوح وذكر خصاله الحميدة"[4]، استخدمه الشعراء بكثرة في أشعارهم، فأصبحوا يمدحون من أعطى، ويشكرون من أكرم، فقد ركزوا على الخصال الحميدة والصفات الجيدة، التي يتمتع بها الممدوح ويتفننون في كتابة قصيدة له.

يقول زهير بن أبي سلمى:

أَغَـــرُ أَبْيَضُ فَيَـــاض يُفَكِـــكُ عَـــنْ أَيْـــدِي العُنَاة وَعَنْ أَعْنَـاقِهَا الرِّيـــقَا

---

[1]- البحتري: كتاب الحماسة، مقدمة المحقق:محمد نبيل طريفي، دارصادر، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1423هـ-2002م، ج/1، ص:39.

[2]-المصدر نفسه، ص:113.

[3]- طفيل الغنوي: ديوانه، شرح: السجستاني الأصمعي، تح:كرنكاو، لندن، (د.ط)، 1967م، ص:113.

[4]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، المجلد2، ص:579.

Confidential

وَذَاكَ أَحْزَمُـــهُم رَأْيًـــا إِذْ نَـــــــبَأت مِن الحَوَادِث عَـادَى النَّاس أَو طُـــرُقَا[1].

يعّد أيضا الرثاء من الموضوعات الهامة في الشعر الجاهلي والذي ارتبط بالفخر والحماسة والمديح، وقد وظّفه الشعراء في العديد من أشعارهم، وهو تعداد خصال الميت وصفاته من الكرم والشجاعة والعفة والعدل.

"وهو التأسف على الميت، والقصد منه تحقيق الأحزان وتهوين المصيبة والصبر والرضّا بما نزل به، والاستسلام للقدر"[2]، وهو فن بارز في شعرنا العربي وينقسم هذا الفن إلى ثلاثة ألوان وهي: الندب والتأبين والعزاء. يقول المهلل في رثاء أخيه:

نَبِئْـتُ أَنَّ النَـارَ بَعْـــــدَكَ أَوْقَـــــدَتْ وَاِسْـــــتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَـيْباً المَجْلِـــسُ

وَتَكَـــلَمُوا فِـــي أَمْرِ كُـــلِ عَـظِيمَـــــةٍ لَو كُنْت شَاهِدَهُم بِهَا لَمْ يَنْســـــــــؤُا[3].

أمّا غرض الهجاء يعتبر سلاحا في يد الشاعر والقبيلة ضد الأعداء يشهره فيخاف الجميع، ظهر بقوة في العصر الجاهلي.

يقول الحطيئة:

دَعْ المَكَـــارِم لَا تَرْحَـــل لِبَغِيَـتِـــــــهَا وَأُقْعُد فإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِـــــــي[4].

كما أنّ الغزل والنّسيب بابان من أبواب الشعر يعبران عن عاطفة الحب بين الرّجل والمرأة، عرفه ابن الرشيق: "النّسيب و التّغزل والتشبيب كلهما بمعنى واحد، أمّا الغزل فهو إلف النّساء والتخلق بما يوافقهن، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ"[5]، وقد استعمل غرض الغزل بكثرة في السعي لكسب مودة المرأة و التغني بفضائلها.

---

[1]- زهير بن أبي سلمى: ديوانه، شرح:صنعة ثعلب، دار الكتب المصرية، (د.ط)، 1994م، ص:48-55.

[2]- ينظر: علي بوملحم: في الأدب وفنونه، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص:82.

[3]- المهلهل بن ربيعة: ديوانه، تح: طلال حرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1999م، ص:325.

[4]- الحطيئة: ديوانه، شرح: ابن السكين، دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1413هـ- 1993م، ص:119.

[5]- ابن الرشيق: العمدة، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج/2، ص:117.

Confidential

مدخل

يقول عنترة بن شداد:

هَلْ غَـــادَرَ الشُعَـــرَاءُ مِـــن مُتَـــــرَدِم أَمْ هَلْ عَرَفْـــــــت الدَّار بَعْـــد تَوَّهُمُ[1].

أمّا عن غرض الوصف فهو من المواضيع الشّاملة فهو يشمل جلّ الموضوعات الأخرى من الشّعر الجاهلي، وهو إبراز لمعالم الشيء.

يقول أحد الشعراء:

وَحَلَّـــت بُيُوتِـــي فِـــي يَفَاع مُمَـــــنَعٍ تُحَالُ بِـــهِ رَاعِي الحُمُولَةِ طَائِـــــــرًا

تَـــزَّلُ الوُعُـــولُ العَصْم عَـــن قَذَفَائِـــــهِ وَتُضَحِـــي ذَرَاهُ بالسَّحَـاب كَوَافِـــــرًا.

وفيما يخص الحكمة والمثل فهي أغراض ثانوية في الشّعر الجاهلي، وهما يكشفان عن كثير من عقائد القوم، وتقاليدهم وقيمهم المعنوية والمعيشية.

يقول زهير بن أبي سلمى:

وَمَـــن يَـــــكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُل بِفَـــضْلِهِ عَلَـــى أَهْلِـهِ يَسْتَغْـن عَنْـــــه وَيذَمَـمُ

وَمَـــن يَجْعَـــل المَعْـــرُوف مِن دُون عِرْضه يَفِـــرهُ وَمِـن لاَ يَتقَى الشَّتْمَ يُشْتَـــــمُ[2].

وقد ركزت هذه الموضوعات على وصف مختلف أطوار حياة الإنسان من سلم وحرب، حيث اتسّمت الحياة الإنسانية بكثير من التناقضات، فالموت يطارد الحياة، والعدل يواجه الظلم، والسّلام يصادم الحرب، هذه المشاعر الإنسانية عبّر عنها الشّعر العربي أصدق تعبير وبخاصة هذه الموضوعات الشّعرية الجاهلية، ولا شك أن العوامل المؤثرة في قيام هذه العوامل امتلاك الأدوات الحربية والآلات القتالية والسلاح فهي من الوسائل الهامة لأي قتال، وقد عمل العرب على تطويرها والعناية بها، حيث تشكل هذه الأخيرة مصدر قوتهم وفخرهم واعتزازهم وكذا مصدر رزقهم وقد خلدوها في أشعارهم فوصفوها بأجمل الأوصاف وأحسن الكلمات "الحرب لدى الجاهليين سنة من سنن الحياة، وشريعة مقدسة يحققون بها الحياة في هذا المجتمع الذي تسيطر عليه القوة وتتحكم فيه"[3].

---

[1]- عنتر بن شداد العبسي: ديوانه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1416هـ- 1995م، ص:117.

[2]- زهير بن أبي سلمى: ديوانه، شرحه وقدمه:علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1408هـ-1988م، ص:110-111.

[3]- عبد الرحمان عنيف: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982م، ص:73.

Confidential

مدخل

لذلك اتسع الشعر الجاهلي لذكر أسماء كثيرة لعدد الحرب والوقوف عند أوصافها وأشكالها وتفرعاتها الكثيرة وطريقة صنعها فمنها على سبيل المثال لا الحصر الدّرقة والبيضة، السيف والرمح، القوس والدّرع والتّرس وغيرها، ويرى د.عبد الإله الصائغ "أنه من العسير تماما نظرا لاختلاف اللهجات والبيئات والخيرات التوفر على أسماء العدد ودلالتها وتفرعاتها المتسعة"[1].

وإنّ من بين الأدوات التي سبق ذكرها يعتبر القوس أداة مهمة وفاعلة في الحرب بل ضرورة من ضروريات حياة العربي، فهي موجودة في سلمه وحربه وكذا في الإغارة والنّهب والصيد...الخ، وأغلب ما ذكر عن القوس جاء في سياق الفخر والاعتداد بالنّفس، وعرض أدوات الحرب ووصفها وبخاصة القوس.

يقول أوس بن حجر:

وَإِنِـــي اِمْـــرُؤٌ أَعْدَدْتُ للحَـرْبِ بَعْدمَـــا رَأَيْـتُ لَهَا نَابًا مِـنَ الشَّـرِ أَعْصَـــــلاَ[2].

وللقوس في الأدب العربي وجود يتجاوز الواقع إلى الرمز، فمنذ أن جعل حاجب بن زرارة قوسه رهينة لقاء أمر خطير، لم يكن ينظر إلى قيمة تلك القوس في حقيقة الواقع العملي، ومنذ أن أصبحت ندامة الكسعي الذي حطّم قوسه- أعني مصدر رزقه ومعقد أمله- مضرب المثل لكل من ضحى متسرعا جائرا بشيء غال عزيز،حتى ارتبط تسرعه وجوره بالنّدم والتطور النفس، ومنذ ذلك الحين لم يعد القوس يقتصر على أن تكون عودا من نبع، وإنّما أصبحت تحمل قيما جديدة أو دلالات على قيم جديدة ذات ارتباط بمشكلات إنسانية كبرى.

فالقوس في الجاهلية لم تكن مجرد آلة مصنوعة من الخشب، بل كانت تعبر عن رمز القوة والشّجاعة والبسالة، كما حملت في طيّاتها عنوانا لكتاب أزلي يحاكي كل أقطاب الحياة الإنسانية ويجسّد قيم النبل والشهامة، كما يرسم لوحة فنية واقعية ذات جمال خيالي، وسنحاول جاهدين من خلال هذا البحث المتواضع أن نخطّ القليل من جماليات هذه الآلة السّحرية المترامية في عمق تراثنا العربي الأصيل.

---

[1]- عبد الإله الصائغ: الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية –القدامة وتحليل النص-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط.1)، 1997م، ص:11.

[2]- أوس بن حجر: ديوانه، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.3)، 1399هـ- 1979م، ص:83.

Confidential

الفصل الأول

الصورة والقوس في الشعر الجاهلي

- المبحث الأول: الصورة الفنّية والحرب في الشّعر الجاهلي.
- المبحث الثاني: أدوات القتال.
- المبحث الثالث: صورة القوس في لامية العرب.

المبحث الأول: الصورة الفنّية والحرب في الشعر الجاهلي

1- مفهوم الصورة الفنّية في الشّعر الجاهلي:

إنّ الحديث عن الصورة الشعرية هو في –حقيقته– حديث عن ركيزة أساسية من ركائز الشّعر، بل هو حديث عن لباب الشّعر، وهو موصول بالحديث عن قدرة الشّاعر على الخلق الفني، "فهي الشّكل الفّني الذّي تتخذه الألفاظ والكلمات في النّص الشّعري، والتي تعبّر في الوقت ذاته عن تجربة ذاتية خاضها الشّعر، وتهدف إلى دفع المتلقي إلى التأمل في واقعه من خلال الرؤية الشّعرية، ويتخذها الشعراء من أجل إبراز المعاني وتوضيحها وتقريبها إلى المستمع، أو لتأكيد هذه المعاني والأفكار، علاوة على كونها زينة لفظية يزّين بها الشّاعر عمله الفنّي"[1].

وعلى هذا الأساس تكون الصورة بمختلف أنماطها، ضرورة من ضروريات العمل الإبداعي الفّني، وبخاصة في إنتاج الشّعر وقوله، حيث يمكن القول أنّ:"الصورة في الشّعر كالشمس في الحياة"[2]، فهي لم تكن زخرفا أو زينة خارجية بل هي جوهر العملية الشّعرية، وهي "نسخة جمالية إبداعية تستحضر الهيئة الحسّية، أو الذهنّية للأجسام، أو المعاني بصياغة جديدة، تنهض لها قدرة الشّاعر ومقدار تجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والواقع دون أن يستبد طرف بآخر"[3]، وقد شكلت هذه الأخيرة سرا وجيها من أسرار الشّعرية.

فالصورة –على تعدد أشكالها وألوانها– شكّلت محورا مهما في تكوين اللبنة الأساسية للقصيدة الجّاهلية العربية، فهي قد "وجدت قبل اكتشافها وتحديدها بقرون شأنها في ذلك شأن أي ظاهرة فنّية، أو علمية في الوجود، فلا مسوّغ لتحفظ بعض الدارسين في قبول فكرة معرفة العرب

---

[1]–منذر كفاني: الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشّعرية،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، (ط.1)، 2006م، ص: 252.

[2]–عبد الإله الصائغ: الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية– القدامة وتحليل النص–، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، (ط.1)، 1997م، ص: 13.

[3]–المرجع نفسه، ص:99.

Confidential

القدامى للصورة الفنّية"[1]، وحتى وإن لم تكن ظاهرة جلّية، فالشّعر الجاهلي كان زاخرا بهذا الشكل الفنّي، فقد رسم لنا مناظر ومشاهد رائعة مكتملة الجوانب، وكان ملما بها إلماما تاما، والشّاعر الجاهلي لم يكن يقصد إلى بناء هذه الصور لذاتها فحسب، وإنّما كان يقصد إلى أن يعّبر من خلالها عن قضاياه وأحاسيسه ومواقفه من الحياة والنّاس من حوله، وقد مثّلت المعلقات اللّوحة الكبرى لحياة العرب وقتذاك، وشكّلت صورا فنية بالغة الدّقة والجمال، كما "أنّ شعراء هذيل قد عرفوا بولعهم الدّافق بالصور الفنّية"[2]، وكان الشّنفرى مصورا مبتكرا، ولاميته زركش قد نظم من اليواقيت فكل عالم يعرج عليه غاص لها الخاطر في بحر الأفكار، فاستخرج دررها، وتاه النّاظر بكلّ الأفكار فاستحضر صورها، "وفيها تشكيلات من الصور الغريبة ربما أوهمت الدارس بأنّها صور سوريالية،أوذات أبعاد مسرحية تراجيدية كاملة"[3]، ومجمل هذه الصور كانت مستقاة من أشياء مختلفة، كأن تكون محسوسة كالبيئة التي عاش فيها الشّاعر، وغير المحسوسة كالثقافة التي يتمتع بها الشّاعر، وكذا تجاربه الشّخصية، "ومنه فإنّ مصادر الصورة هي الأشياء التي يتكئ عليها الشعراء في إبداع صورهم، بل هي منطلقات الخلق الفني التي تعكسها مرآة وجدان الشّاعر"[4].

و من مجمل الوسائل التي تساعد الشّاعر على إبراز الصورة الفنية، وإخراجها في حليتها الكاملة، وذلك"أن يعمد الشّاعر إلى عقد شبيه بين شيئين، أو يعتمد على التّشبيه ثمّ يتناساه مدعيا أنّ المشبه من جنس المشبه به، وهو ما يعرف بالاستعارة، أو يستخدم اللفظة في غير معناها اللغوي لعلاقة من العلاقات غير المشابهة، وهو ما يعرف بالمجاز المرسل، أو يسلك طريق الكناية، ويترك طريق التصريح، أو يتجه للوصف المجرد، أو ينقل معالم المشهد بالمفردات اللغوية على وجه الحقيقة"[5].

---

[1]- عبد الإله الصائغ: الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، ص: 13.

[2]-المرجع نفسه، ص:27.

[3]-المرجع نفسه، ص: 27-28.

[4]-إبراهيم بن عبد الرحمان الغنيم: الصورة الفنية في الشعر -مثال ونقد-،الشركة العربية للنشر والتوزيع،القاهرة، مصر، (ط.1)، 1996م، ص: 39.

[5]-المرجع نفسه، ص: 131.

Confidential

و إنّ من الأنماط البلاغية الأكثر انتشارا في الشّعر الجاهلي التشبيه والذي"يعني اشتراك شيئين في معنى واحد، وأنّ أحدهما سدّ مسدّ الآخر، وهو يمثّل مرحلة البداية في الصورة الفنّية، وهو عمود من أعمدة البيان في البلاغة العربية"[1]، وعلى سبيل المثال وفي غرض الفخر والحماسة نجد الشعراء عند وصف أنفسهم بالشّجاعة والقوة، يشبهونها بالحيوانات الضّارية كالليث والأسد في قول عبد يغوث بن وقاص:

وَقَــد عَلِمَــتْ عُرْسِــي مَلِيكَــةَ أَنَّنِــي أَنَــا اللَيْثُ مَعْدُوًا عَلَيَّ وَعَادِيَــــــا[2].

2- أهم الصور في الشّعر الجاهلي:

و قد تعددت الصور وتشّعبت في الشّعر الجاهلي، وكوّنت شكلا فنيا متقن الوصف والطرز، فالشّاعر الجاهلي صوّر مختلف جوانب حياته وبيئته في قوالب شتى، وبأسلوب إبداعي فنّي، وعلى سبيل المثال لا الحصر سنعرض جملة من الصور التي تكشف لنا خبايا هذه الصورة ومدلولاتها.

أ-الوقوف على الأطلال:

و من الصور التي باتت لا تخلو منها أي قصيدة جاهلية صورة الطلل أو الطللية، فقد كانت هذه الأخيرة ركنا أساسيا من أركان كتابة الشّعر، ولا يمكن لأي أحد أن يتجاوزه، فالشعراء هنا "يستحضرون في وقفتهم على الأطلال صور الماضي الذّاهب، وذلك الماضي الذي يتصل بالزّمان والمكان، ويرتبط بحقبة من العمر، يجد الشّاعر نفسه مدفوعا إلى الحنين إليها- فالأطلال ماض-كما يتضمن الوقوف على الأطلال وتذّكر الماضي شعور بالحزن والألم للفراق وانقطاع العهد بالشباب والفتوة"[3].

---

[1]-منذر ذيب كفاني: الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية، ص: 253.

[2]-المفضل الضبي: المفضليات، تح: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، (ط.7)، (د-ت)، ص: 158.

[3]-حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، (ط.1)، 2002م، ص:364.

Confidential

يقول امرؤ القيس*:

وَقُوفًــا بِهَــا صَحْبِـي عَلَيا مَطيِّهــم يَقُـولُـونَ لاَ تَهْلِك أَسَــى وتَجَمَّــــلِ

وَإِنَّ شِفَائِـي عَبْــتَرَة مُهْرَاقَــــــةً فَهَل عِنْـدَ رَسْـمِ دَارِس مِــن مُعَّــــوَلِ[1].

فالوقوف على الأطلال تجربة واقعية يحاكي بها ماضيه، ومستقبله الآتي، كما أنه وقفة مع النّفس والمصير معا، وفضلا عن كونها تعبير عن أحاسيسه ومشاعره تجاه هذا الماضي، وهي مشاعر مشتركة تمثل موقفا إنسانيا مشتركا، كما"استغل الشّاعر الجاهلي في الوقوف على الأطلال الزمن الباطني، فأقام علاقة دم بينه وبين من كانوا في الطّلل، وربط بين ماضيه وماضيهم، متحدثا في ذلك عن الوجود الإنساني"[2].

مثل قول أبي داؤود الإيادي:

أَوْحَشَــت مِــن سُرُوبِ قَوْمِـي تَعَــارُ فَـأَرُومُ فَشَــابَة فَالسَّتَــــارُ

بَعْدَ مَــا كَـانَ سَرْبُ قَوْمِــي حِينَــا لَهُــم النَّخْل كُلـهَا وَالبَحَــــارُ[3].

فالماضي عند أبي داؤود ليس مجرد بل معاش فيه، وهو مرتبط بالعمل، وقد حاول الشعراء من خلال هذه الوقفة إظهار خيطا الوجود وهما الحياة والموت، فظهر القلق من الموت أو من الفناء، فعبّروا عنه بالبكاء على الطلل.

يقول زهير بن أبي سلمى في هذا الصدد:

فَاسْتَأْثَــرَ الدَّهْــرُ الغدَاة بِهِــمْ وَالدَّهْــرُ يَرْمِينِــي وَلَا أَرْمِــي

لَــوْ كَانَ لِــي قَرْنَــا أُنَاظِلُــهُ مَــا طَاشَ عِنْـدَ حَفِيظَة سَهْــمِي

---

*ولم يكن امرؤ القيس أول من عاج على الأطلال، وبكى هناك الحبيب بل سبقه شعراء منهم ابن حزام لقول امرؤ القيس:

عُوجاً عَلَى الطَلَلِ المحيلِ لِعَلَّنَا نَبْكِي الدِيَارَ كَمَا بنُ حُزَامَ.

[1]–امرؤ القيس بن حجر الكندي: ديوانه، لأبي الحجاج الشنتميري، تح: الشيخ أبي شنب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، ص: 62.

[2]–منذر ذيب الكفاني: الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية، ص: 180.

[3]–أبو داؤود الإيادي: ديوانه، تر: إحسان عباس وآخرين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1959م، ص: 316.

Confidential

يَـــا دَهْـــرُ قَـــد أَكْثَرَت فَجْعَتَـــــــنَا بِسِرَاتِنَـــا وَقَرَعْـــــــتَ فِـــي العَظْـــمِ[1].

ب- صورة الإنسان الصائد:

و من جملة الصوّر التي قام الشّاعر الجاهلي بإبرازها، وتعداد صيّغها وأشكالها صورة الإنسان الصائد، حيث عبّر عن تلك الصورة بأسلوب راق وجميل، خافيا لنا وحشية ذلك المشهد المرعب، متجاهلا حق تلك الحيوانات في العيش، كما أنّها قدّمت لنا رموزا للصّراع بين الموت والحياة.

يقول النّابغة الذبياني في وصفه لهذا الصائد:

أَهْوَى لَـــهُ قَانِـــصُ يَسْعَـــى بِأَكْلُبِـــهِ عَارَى الأَشَاجِعُ مِـــن قَنَّاص أَنْمَـــــارِ

مَعَالِـــقُ الصَّيْد تُبَـــاع لَـــهُ لَجْـــــــم مَـــا إِنْ عَليه ثِيَاب غَيْـرَ أَطْمَـــــــارِ

يَسْعَـــى بِغَضِيف يرَاهَا فَهِـــي طَاوِيَـــة طُول اِرْتِحَـال بِهَـا مِنـهُ وَتسْيَـــــــارِ[2].

فهذه الصورة التي يقدمها الشعراء الجاهليون للصائد المحترف تعكس شعورا بالعداء تجاه هذا الصائد الذي يحترف قتل الأوابد، وقد جاء ذلك نتيجة ارتباط هذا الشّاعر في وجدان الجاهلي بالدّهر، وهو يحترف الصيد، ويجعل منه معاشه وكسبه، كما نجد صورة مقابلة لهذا الأخير وهي صورة الصائد الفارس، حيث يشكل له الصيد رياضة ومتعة لا غير، وكانوا يفتخرون بهذا النّوع.

ج- صورة النّاقة:

كما نجد صور النّاقة من أكثر الصور التي كانت متداولة في الشعر الجاهلي، والتي حظيت باهتمام بالغ من الشعراء، فقد كانوا يتغنون بها في كل محفل،ولم تخل قصيدة منها،"فنجد الأعشى

[1]-زهير بن أبي سلمى: ديوانه، صنفه: الإمام أبي العباس الشيباني ثعلب، طبعة عن دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، 1944م، ص: 385.

[2]-النابغة الذبياني: ديوانه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 203.

Confidential

يصور ناقته تشكو إليه وقد أعياها الإجهاد وهزل جسمها لما أصابها من ألم"[1]، لأن الناقة كان لها دور هام في الجاهلية فهي وسيلة لارتحالهم ومفخرة لهم.

فيقول:

وَتَراهَـــا تَشْكُـــو إِلَـــيَّ وَقَـــــدْأَ لَتْ طَلِيحًـــا تُحْذَى صُدُورَ النِّعَـــــالِ

نَقَب الخَف للسَّـــرَى فَتَـــــرَى الآَن يُسَـــاغُ مِـن حلّ سَاعَة وَارْتِحَـــــالِ[2].

و قد أعطى شعراء الجاهلية صورا لنياقهم تدل على الضخامة مثل قول أوس بن حجر:

وَلَقَـــد أَرُوغ عَلَـــى الخَـــلِيل إِذَاخَـــانَ الخَلِيل الوَصْلِ أَو كَـــذبَا

بِجَلَالَـــة سَـــرْحِ النَّجَـــاء إِذَا آَلَ الجَفَـــاف حَوْلَهَـــا اِضْطَـــرَبَا[3].

وكذلك الإقدام في قول طرفة بن العبد "جسرة وعسوف"[4]، وتجسّد صورة الناقة صور الحيوانات كثيرة منها: الثور الوحشيّ والحمار الوحشيّ، النّعام ومهما تعددت صور هذه الأخيرة فهي كانت تمثّل الرفيق الأنيس للشاعر في ترحاله وتجواله، فهي بمنزلة الروح عند العرب، كما أنّها ارتبطت بفكرة الثّبات والصمود، بسبب قوتها وصبرها، وتحديها لقسوة الزّمن والطبيعة وهي وسيلة للترويح عن النّفس والسلوة عن الهموم وضغوط الحياة وتفريج الكرب والحزن والهّم، وهي رمز من رموز العروبة والتي تمتد إلى ناقة صالح عليه السّلام.

3- الحرب في الجاهلية:

لقد ذاق الإنسان الجاهلي معاناة، وويلات الحروب وما خلفته من آثار سلبية على المجتمع، فقد كانت تعتبر مشكلة من المشكلات التي تتصل بمواقف الشّاعر من المجتمع فإنّ كثرة الحروب في الجاهلية راجع لعدة أسباب من بينها طبيعة العرب، يقول الأستاذ أحمد أمين في هذا الخصوص،"العربي عصبي المزاج، سريع الغضب، يهيج للشيء التافه، ثمّ لا يقف في هياجه عند حدّ،

[1]-حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي قضايا وفنون،ص: 408.

[2]-الأعشى الكبير: ديوانه، تح: محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1974م، ص: 57.

[3]-أوس بن حجر: ديوانه، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1967م، ص: 01-02.

[4]-طرفة بن العبد: ديوانه، تح: علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، (د.ت)، ص: 75.

Confidential

وهو أشد هياجا، إذا جرحت كرامته، أو انتهكت حرمة قبيلته وإذا اهتاج أسرع إلى السّيف واحتكم إليه، حتى أفنتهم الحروب وحتى صارت الحرب نظامهم المألوف، وحياتهم اليومية المعتادة"[1].

و لقد تتبيّن لنا فظاعة الحرب في الجاهلية وقبحها من خلال الوعي الشعري ومن خلال ما قاله الشعراء، فقد تركت الحرب مخاطرا وأهوالا وخوفا، فهي غيّرت الرّجال في أشكالهم وصورهم بمواجعها وآلامها، كما حبست البشر في ضنك، وضيق من العيش، ويمكن أن نقرأ في شعر أبي قيس بن الأسلت الأنصاري صدى ذلك، إذا أنكرته زوجه، ولم تعرفه بعد أن غيّرت الحرب من سنحته وهدمت ذاته، يقول:

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِـــــد لقِيـــــل الخَنَّـا مَهْلًا فَقَـــدْ أَبْلَـغْـتَ أَسْمَاعِـــــــي

أَنْكَرَتْـــــهُ حِيـــــنَ تَوَسّمِيـــــــــه وَالحَرْب غُـــــولٌ ذَاتَ أَوْجَـــــــاعِ

مَـــنْ ذَاقَ الحَرب يَجِـــدْ طَعْمَـــــهَـا مُـــــرّاً وَتَحَيُّسِـــهِ بِجَعْجَـــــــــــاعِ

قَـــدْ حَصَّت البِيضَة رَأْسِـــي فَمَـــــا أَطْعَمَ غَمْضًـــا غَيْـــرَ تهْجَـــــــــاعِ[2].

لطالما اعتبر الجاهليون، أنّ الحرب هي السّبيل لحماية الحقيقة وهب الوسيلة التي يحمي بها القوم حقيقتهم ويثّبتون بها وجودهم وتساهم في صون عرضهم.

يقول عبيد بن الأبرص:

إِنَّـــا إِذَا غَـــــضَّ الثَّقَـــــــــا فُ بِرَأْسِ صَعْـدَتِنَـــــا لَوَيْـــــــنَـا

تُحْمَـــــى حَقِيقَتَنَـــــــــــا وَبَـعْ ضُ القَـــــوْمِ يَسْـــقُطُ بَيْن بَيِّـــــنَا[3].

[1]- حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، ص: 111، نقلا عن أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1969م، ص: 37.

[2]- المفضل الضبي: المفضليات، ص: 284.

[3]- عبيد بن الأبرص: ديوانه، تح: سير شارليس ليال، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 141.

Confidential

لم يكن الإنسان الجاهلي فقط إنسانا محاربا بل كان أيضا داعيا للسلام وحاملا لراية الصلح، لأنّ الظلم في نظر الجاهلي قوة وكل ما نالته يد القوي يعّد عزيزا لذلك عنت أصوات الشعراء بذكر الأيام والوقائع، وصارت كل ما نالته يد القوي حقا لا شبهة فيه حتى تعبير وهب رومية.

ويقول زهير بن أبي سلمى في صلح هرم بن سنان والحارث بن عوف:

تَـدَارَكْتُمَـــا عَبْسًـــا وَذُبْيَـــان بَعْدَمَـــا تَفَـــانُوا بَيْنَهُم عِطْـــــرَ مَنشَـــمِ

وَقَـــدْ قُلْتُمَـــا إِنْ نُدْرِك السِّلْـم وَاسِعـــاً بِمَـــــال وَمَعْـــرُوف مِـــنَ الأَمْرِ نَسْلَم.[1]

ونجد أيضا النابغة الذبياني يتحدث عن سعيه في الصلح فيقول:

غَرَمْـــتُ غَرَامَـةً فِـــي صُلْحِ قَيْـــــس وَلَـم يَتَفَاسَدُوا فِيـــــمَا بَيَّـــــنْتُ

فَـــإِنتَغْلَـــب شَقَاوَتُـــكُم عَلَيْـــــكُم فَأَنِـــي فِـــي صَلَاحِـــكُمْ سَعَـــــيْتُ[2].

و ليحقق المحارب الجاهلي هذه الحروب بكل نجاح وحتى تكون نهايته فوزا عليه، أن يملك أسلحة قوية تساعده في مواجهة الخصم أو العدو، فيعتبر السّلاح مكملا لنموذج البطل المحارب فلا يحقق المحارب بطولته ويقدر على خصمه إلا إذا كان سلاحه ماضيا.

يقول عنترة بن شداد:

وَرِمَـــاحنَا تَكُـــفُ النَّجِـيع صُـــدُورَهَا وَسُيُوفنَـــا تَخْـــــلَى الرِّقَـابَ فَتَـــخْتَلِي[3].

ويقول أيضا:

---

[1]- زهير بن أبي سلمى: ديوانه، شرح وقدم له: علي حسين فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1408هـ-1988م، ص: 106.

[2]- النابغة الذبياني: ديوانه، ص: 173.

[3]- عنترة: ديوانه، دراسة علمية محققة على 6 نسخ مطبوعة، تح: محمد سعيد مولوى، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1970م، ص: 257.

Confidential

ذَكَّرْ أَشُق بِـــهِ الجَـمَاجِمَ فِـــي الوَغَـى وَأَقُــول لاَ تَقْـــطعيَمِـينَ الصَـــقِيلِ[1].

لقد كان السلاح معرض الاستظهار قيم البطولة والشّجاعة أثناء الحروب في الجاهلية، ومن الطبيعي أن تصبح الأسلحة والمعدات الحربية ضرورية للحياة في ذلك الوقت، لذلك كان العرب يهتمون بها اهتماما كبيرا وساهموا في امتلاكها بقدر كبير وبكميات هائلة من خيرها وأجودها.

فقد جاء، في لسان العرب لابن منظور "السلاح جامع لآلة الحرب، وخصّ بعضهم به ما كان من الحديد، يؤنث ويذكر والتذكير أعلى لأنه يجمعه على الأسلحة، وربما خصّ به السّيف والجمع أسلحة سلح وسلحان"[2].

تعّد الشّجاعة والقوة من أهم العوامل الرئيسية في قيام المجتمعات والسيطرة على الطرف الآخر، لكن لتحصيل هذه القوة والحكم يجب امتلاك المعدات الحربية وآلات القتال التي تساعد في تحقيق هذا المبتغى، لذلك ساهم الإنسان في تطوير الأسلحة وامتلاكها، فبات الشعراء الجاهليون يتغنون ويتفاخرون في قصائدهم بسلاحهم فلا يخلو ديوان شاعر منهم إلا وتحدث عن السّلاح.

يقول امرؤ القيس:

أَيَقْتُلُـــنِـــي وَالمَشْرِفِـــي مَضَـاجِعِـــي وَمَسْنُونَـــةٌ زُرْقٌ كَـــأَنْيَابِ أَغْـــوَالِ[3].

و يقول طرفة بن العبد:

وَآَلِيـــتُ لاَيَنْـــفَكُ كَـــشَحـي بَـــطَانَة لِعَـــــضْبِ رَفِيـــق الشَّفْرَتَـــيْنِ مُهَـــنَدَا[4].

[1]– المصدر نفسه، ص: 209.

[2]– ابن منظور أبو الفضل جمال بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة(سلح)، ص: 321.

[3]– امرؤ القيس: ديوانه، ص: 33.

[4]– طرفة بن العبد: ديوانه، ص: 54.

Confidential

Confidential

و قد وضّح الشّعر الجاهلي رؤية العربي لأسلحته التي اعتبرت أداة للدفاع عن نفسه ومواجهته للمخاطر ومن هذه الأسلحة تتبيّن نتيجة الحرب لذلك أكثر الشّعراء من الكلام عن أسلحتهم وبينوا سبب اهتمامهم بها"فيها كانوا يحافظون عن حياتهم، ويصونون شرفهم، ويدافعون عن عزّتهم ويرضون رغباتهم ويحققون أمانيهم"[1]، فقد كان الجاهليون يحبون الحروب وسفك الدماء يكون سببها غالبا أماكن الرعي أو الثأر ، أو السرقة أو من أجل موارد الماء ولا تنتهي هذه الحروب إلا بسقوط قبيلة ومن أشهر الحروب في الجاهلية حرب داحس والغبراء بين قبيلة عبس وقبيلة ذبيان، وحرب البسوس وغيرها من الحروب.

ونجد هذا واضحا من خلال أشعار الكثير م الشعراء وهم يصفون الحروب وأسلحتها.

كقول بشير بن أبي خازم الأسدي :

يَسُومَـــونَ السِّلاَحَ بِـــــذَات كَـهْـف وَمَـــــا فِـيهَا لَهُم سِـــــلَع وَقَـــــارُ[2].

و يقول الأعلم الهذلي:

مَتَـــــى تَقْتُلُـــــنِي وَمَعِـــــي سِلَاحِـــــي تَلَاق المَوْت لَيْـــــسَ لَـــــهُ عَـــــدِيلُ[3].

و قول طرفة بن العبد أيضا:

إِذَا اِبْتَدَرَ القَـــــــوْمُ السِّلَاحَ وَحَدْتَنِـــــي مَنِـــــيعًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِـمِـــهِ يَـــدِي[4].

---

[1]- علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (ط.3)، 1988م، ص: 132.

[2]- الأسدي بشير بن أبي حازم: ديوانه، تح: عزّت حسن، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، (ط.2)، 1972م، ص: 220.

[3]- السكري أبو سعيد الحسن بن حسين (ت275ه): شرح أشعار الهذليين، تح: عبد السّتار فراج، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج/1، ص: 321.

[4]- طرفة بن العبد: ديوانه، ص : 54.

لذلك تعددت هذه الأدوات واختلفت أسماؤها وأشكالها وعليه كان أكثر الشّعراء العربية وخاصة الجاهليين من التأمل في هذه الأدوات الحربية وخاصة في القوس والسّهم وتحدثوا عن أصلهما ونسبهما وصوتهما ولونهما مثل السّيف والرمح والدّرع والسّهم، القوس، التّرس وغيرها من الأسلحة.

المبحث الثاني: أدوات القتال

- **السّيف:**

أ–مفهومه:

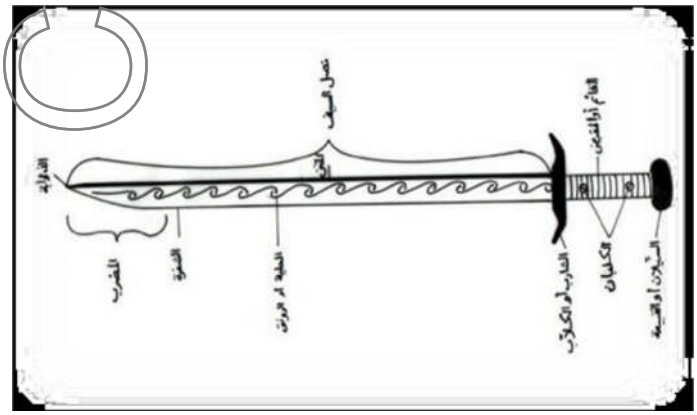

يعتبر السّيف من أشرف الأسلحة وأنبلها عند الجاهليين فقد تفننوا في صناعته وزخرفته لذلك كثر ورود لفظ السّيف في أشعارهم مقارنة بباقي الأسلحة الأخرى لأنه أكثر استخداما،فكل جندي أو محارب، أو فارس كان يحمل هذه الأداة ليحمي بها نفسه أو قبيلته، "السّيف في نظر العرب هو السلاح الرئيس الذي يحرس عليه ويحمله العربي، ويستعمله وقد كانت تعّد الأسلحة الأخرى بالنسبة له أسلحة ثانوية، فالسّيف ملازم له كظلّه لا يفارقه ولا عينة له عنه، فهو أشبه ما يكون بالسلاح الشّخصي له"[1].

كما ورد لفظ السّيف في معجم مقاييس اللغة [2]سيف: السين والياء والفاء أصل صحيح يدل على امتداد في الشيء وطول، من ذلك السيّف سميّ بذلك لامتداده، ويقال امرأة سيفانة، إذا كانت شطبة وكأنّها تصل السيّف جاء لفظ السّيف بصيغة مفرد في قول:

[1]– علي أحمد الخطيب: فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار اللبنانية، (ط.1)، 1424هـ–2004م، ص: 204.

[2]– ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، المجلد3،ص: 121، مادة (سيف).

Confidential

عنترة بن شداد:

وَأَفْـــرَحُ بِالسَّـــيْفِ تَحْتَ الغُـــبَـــارِ إِذَا مَـــا ضَرَبْتُ بِـــهِ أَلْفَضَـــــرْبَه[1].

و يقول حسان:

لَنَـــا الجَفَنَـــاتُ الغُرُّ يَلْهَفْنَّ بِالضُحَـــى وَأَسْيَافنَـــا يَقْطُرْنَّ مِن نَجْدَة دَمـــاً[2].

استخدم الشّاعر الجاهلي ألفاظا كثيرة تدّل على صفات السّيف وأجزاءه، وكذا ألفاظ تدّل على أماكن صنعه وحفظه كالمحراب والقراب، والجفن والهنداوي وغيرها، لذلك نجد أنّ أسماء السّيف تعددت معانيها ودلالتها.

ب–أسماؤه:

لقد تعددت أسماء السيوف وأشكالها في الجاهلية، فنجد اختلافا في معانيها بشكل كبير، فقد استعملها الشعراء للفخر بأسلحتهم والتباهي بها أيضا وقد زادت من جمال نصوصهم الشعرية، ومن بين هذه الأسماء:

- ✓ **الحسام:** ورد في معجم مقاييس اللغة [3]حسم : الحاء والسين والميم، أصل واحد وهو قطع الشيء من آخره ويقال أحسم عنك هذا الأمر، أي قطعه واكفه بنفسك، شاهده".

يقول المهلهل:

فَقَلَّـــد الأَمْـــرَ بَنُـــــو لَحيَـــــة مِنْهُم رَئِيســـًا كَـــالحُسَامِ العَتِيـــقِ[4].

كما ورد هذا اللفظ أيضا عند طرفة بن العبد والحارث، وعنترة بن شداد.

[1]– عنترة: ديوانه، ص: 09.

[2]– حسان بن ثابت الأنصاري: ديوانه، تح: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1974م، ص: 212.

[3]– ابن فارس، مقاييس اللغة، المجلد2، ص: 57

[4]– المهلهل بن ربيعة، ديوانه، ص: 54

Confidential

Confidential

✓ **الصارم**: هو السّيف القاطع الذي لا ينبثي، يقال سيف صروم صارم"[1].

ويقول أحد الشعراء:

لَـــوْ كَانَ غَيرْي سلْمِـــي لِيَـــوْمِ غَيْرِهِ وَقْع الحَـــوَادِثِ إِلَا الصَّـــارِمِ الذَّكَـرُ.

✓ **الخشيب** : "هو السّيف الصقيل"[2]، ويقصد به السيف الحاد أيضا، وقد استخدم بكثرة عند الشعراء.

يقول أحد الشعراء:

فَسَـــاوَرَتْـــهُ وَاِسْتَبَلَـــت الخَشِـــي بِ، وَأَعْجلـــه ثَنِيـــه رِيقِـــي.

✓ **البتّار**:ورد في معجم مقاييس اللغة [3] بتر: الباء والتاء والراء أصل واحد، وهو القطع قبل أن تتمه والسّيف الباتر القطاع، وهو أشهر أنواع السيوف والأكثر تداولا في الشعر الجاهلي.

يقول أحد الشعراء:

ضَرَبْـــت عمْروا عَلَـــى الخَيْشُومِ مُقْتَدِرًا بِصَـــارِمٍ مِثْـــلَ لَـــوْمِ المِلْـــحِ بَتَّـــارُ.

✓**الجنثيّ**:وفي اللّسان "وهو الزراد"[4]، تتعدد معاني هذا النوع من السيوف، وقد عبّر به العديد من الشعراء في قصائدهم عن قوة السيف.

[1]- ابن منظور: لسان العرب، المجلد08، ص: 231، مادة (صرم).

[2]- أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د-ط)، (د.ت)، ص: 248.

[3]- ابن فارس: مقاييس اللغة، ص: 194، مادة (بتر).

[4]- ابن منظور: لسان العرب، المجلد03، ص: 212.

Confidential

يقول لبيد:

أَحْكَمَ الجُنَثِيُّ مِن عَوْرَاتِهَا كُل حِرْبَاء إِذَا أَكْرَه صِلْ[1].

✓ **الإفرند:** ورد في معجم لسان العرب" الفرند: وشي السيف وهو دخيل معرب"[2].

يقول عنترة:

إِذَا لَمْ يَرْوِي صَارِمِي مِن دَمِ العَدَا وَيُصْبِحُ مِن إِفْرِنْدِهِ الدَّم يَقْطُرُ[3].

✓ **الذّكور:** على وزن فعول "وهو صيغة للذّكر وهو السيف"[4].

يقول أحد الشعراء:

فَلَوْلَا الرِيح أَسْمَعُ مِن الحَجَر صَلِيل البِيض تُقْرَعُ بِالذَّكُورِ.

✓ **المضارب:** ورد في معجم مقاييس اللغة[5] ضرب: الفاء والراء والباء أصل واحد، ثمّ يستعار ويحمل عليه ومضرب السّيف، ومضربه المكان الذي يضرب به منه".

يقول امرؤ القيس:

مُتَوَسِدًا عَصِيًا مَضَارِبُهُ فِي مَتْنِهِ كَمَدِّيهِ النَّمْلِ[6].

---

[1]– لبيد بن ربيعة العامري: ديوانه، دار صادر، بيروت، ابنان، (د.ط)، (د.ت)، المجلد1، ص: 152.

[2]– ابن منظور: لسان العرب، المجلد05، ص: 350، مادة(فرند).

[3]– عنترة: ديوانه، ص: 66.

[4]– أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية،ص: 249.

[5]– ابن منظور: مقاييس اللغة، المجلد03، ص: 397، مادة (ضرب).

[6]– امرؤ القيس: ديوانه، ص: 352.

Confidential

- **الرمح:**

أ–مفهومه:

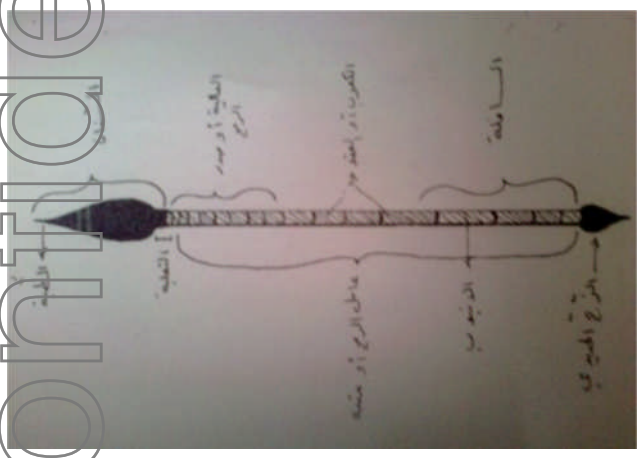

هو أداة من أدوات الحرب وهي من الآلات الحربية القديمة المصممة للصّيد أو القتال، وهو عبارة عن عصا خشبية أو معدنية مدببة الشكل "وهو آلة الطعن في الحرب"[1]، أو يرميه المحارب أثناء الحرب ليبلغ هدفه وهو قتل العدو،"جمعه رماح وأرماح"[2]، وظف الشعراء هذه الكلمة في قصائدهم، يتراوح طوله"بين أربعة أذرع وبين عشر أذرع"[3]، وهو يعتبر من أطول الآلات الحربية في الجاهلية، ويعتبر الرمح الآلة الثانية بعد السّيف، لذلك كان حديث الشعراء عنه قليلا مقارنة بالسّيف، وورد لفظ رمح في معجم مقاييس اللغة[4] رمح: الراء والميم والراء كلمة واحدة، ثمّ يصّرف منها الرّمح: وهو معروف على وزن فعل، والجمع رماح و أرماح، والسّماك الرّامح: نجم وسمي بكوكب يقدمه كأنّه رمحه، والرّماح: الذي يتخذ الرماح وحرفته الرماحة، والرّامح الطاعن بالرمح والرامح: الحامل له،

يقول أحد الشعراء:

أَبِـــي أَنْـزَلَ الجَبَّـار عَامـــل رُمْحُهُ عَــن السَّـــرْج حَتَى خَـرَّ بَيْنَ السَّنَـابِك.

[1]– القلقشندى أحمد بن علي: صبح الأعشى، مطبعة الميرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1913م، ج/2، ص: 140.

[2]– عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى: الإفصاح في فقه اللغة، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، (ط.4)، ج/1، (د.ت)، ص: 597.

[3]– هندي إحسان: الأسلحة وآلات القتال عند العرب في القرون الوسطى، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2004م، ص: 76.

[4]– ابن فارس: مقاييس اللغة، ص: 347، مادة(رمح).

Confidential

يقول المهلهل:

غَـــدًا نُسَاقِـــي فَاعْلَـــمُوا بَيننَـــا أَرْمَاحِنَـــا مِـــن عَاتِكَ كَـــالرَّحِيـــقِ[1]

ب–أسماؤه:

لقد اختلفت أسماء الرماح في العصر الجاهلي فاختلفت كل قبيلة عن الأخرى في صناعة الرمح، وقد وظف الشعراء أسماء الرماح في أشعارهم بقلة مقارنة بالسيف ومن بين هذه الأسماء:

- ✓ **الثقاف:** ورد في معجم لسان العرب [2] الثّقاف: ما تستوي به الرماح، وتثقيفها: تسويتها.

يقول عمرو بن كلثوم:

إِذَا عَـــــضَّ الثَّقَافُ بِـــــهَا اشمأزت وَوَلَّتْـــهُم عَشْـــــر زنـــــه زَبُـــونَا[3].

- ✓ **أسمر:** ورد في معجم مقاييس اللغة [4] سمر: السين والميم والراء أصل واحد يدل على خلاف البياض في اللون، أمّا الأسمر هو الرمح والأسمر أيضا هو الماء.

يقول أحد الشعراء:

هَزَمُـــوا العُـــدَاة بِكُل أَسْمَـــر مَـارِنٍ وَمُهَّـــنَد مِثْـــلَ الغَدِيـــر يَمَـــانِي.

- ✓ **المطّرد:** ورد في معجم مقاييس اللغة[5] صرد: الطاء والراء والدال أصل واحد يدل على إبعاد والطّرد: معالجة أخذ الصّيد، والمطّرد: الرماح الصغيرة،

---

[1]– المهلهل بن ربيعة: ديوانه، ص: 56.

[2]– ابن منظور: لسان العرب، ص: 492، مادة (ثقف).

[3]– عمرو بن كلثوم: ديوانه، تح: فريش كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، 1922م، ص: 79.

[4]– ابن فارس: مقاييس اللغة، ص: 100 مادة (سمر).

[5]–المصدر نفسه، ص: 455، مادة (طرد).

Confidential

يقول أحد الشعراء:

مُطَّـــرد كَـــــرْشَـــاء الجُـــــرُو رِ مِـــــن خَلْب النَّخْـــلَة الأَجْـــرَدِ

✓ **رواعف:** جاء في معجم مقايس اللغة[1] رعف: الراء والعين والفاء أصل واحد يدل على سبق وتقدم والرّعاف: فيما يقال الدّم بعينه والأصل أنّ الرّعاف ما يصيب الإنسان ويقولون للرماح الرواعف.

يقول أحد الشعراء:

وَنَجَـــا بِمُهْجَتِـــهِ وَأَسْلَـــم قَوْمَـــه مُتســـر بِلِـــين رَوَاعِـــف المُـــرَّان.

✓ **المرّان:** ورد في معجم مقاييس اللغة[2]مرن: هو لين في صلابته ومرونته، ألنته وصلبته، ورمح مارن: صلب لين والمران بالضّم وهو فعّال: الرماح الصلبة اللدنة.

كما يقول أحد الشعراء:

وَيَقُلْـــنَ مِـــــن المُسْتَضِيف إِذَا دَعَـــا أَمْ مِـــن الخَضْـــب عَوَالِـــي المُـــرَّان.

✓ **خرصان:** جاء في معجم مقاييس اللغة[3] خرص: الخاء والراء والصاد أصول متباينة جدّا فالأوّل الخرص: حزر الشيء واصل آخر ويقال للحلقة من الذهب خرص أصل آخر هو كل ذي شعبه من الشيء ذي الشّعب والخرص كل قضيب بشعره.

يقول قيس بن الخطيم:

تَـــرَى قَصْـــدَ المُـــرَّان تَلْقَـــى كَأَنَّـــه تَذَرع خَرَصَـــان بِـــأَيْدِي الشَـــوَاطِب[4].

✓ **الحربة:** ورد في معجم لسان العرب[5]الحربة: الآلة دون الرمح وجمعها حراب: وسنان محرب مذّرب وحرب السّنان: أحدّه.

---

[1]– ابن فارس: مقاييس اللغة، المجلد02، ص: 405، مادة (رعف).

[2]– المصدر نفسه، ص: 113، مادة (مرن)

[3]– المصدر نفسه، ص: 169، مادة (خرص).

[4]– ابن الخطيم، ديوانه، تح: ناصر الدين الأسد، طباعة دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1967م، ص: 204.

[5]– ابن منظور: لسان العرب، ص: 100، مادة (حرب).

يقول أحد الشعراء:

سَيَصْبح فِـــــي سَـــرْحِ الرَّبَـــاب وَرَاءَهَا إِذَا فَزَعـــت أَلْـــف سِنَـــان مُعَـــرَب.

✓ **المخراق:** ورد في لسان العرب[1] هو حربة قصيرة دون الرمح ذات سنان طويلة حيث أورد امرؤ القيس:

وَأَبْيَـــضٌ كَالمِـــخْرَاقِ بَلِيَـــــة حَـــدَّهُ وَهَبْتُـهُ فِـــي السَـــاقِ وَالقَصَـــرَاتِ[2].

- **القوس:**

أ–مفهومه:

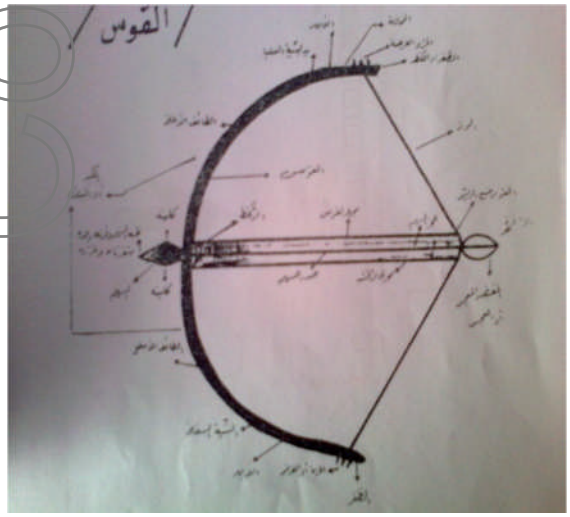

لقد استخدم العرب منذ العصور القديمة والسّهم عبارة عن آلة حربية تستخدم في الرمي، تصنع من عود من الخشب لين ومتين، فقد اعتبر العرب أنّ شرف القوس من شرف حاملها، لذلك حظيت القوس وصناعتها بنصيب وافر من عناية الجاهليين فهم يصفونها ويذكرون خشبها الذي صنعت منه فهي تؤخذ من عود شجر جبلي صلب لا عقد فيه" كالشوحط، والمرّان والنّبع والشّريان"[3]،كما أنّ القوس في شكله يكون مثل نصف الدائرة استخدم في المعارك فترة الجاهلية، يرمي بها السّهام والنّبال، أكثر الشعراء من وصفه والفخر به في أشعارهم والقوس مرتبط ارتباطا وثيقا بالسّهم، وقد كانت للسهام أهمية قصوى"في حياة العرب وكانوا يهتمون بالتدريب على رميها والقنص بها حتى أصبحت هواية عند بعضهم ارتفعت حدّ الاحتراف"[4].

[1]– ابن منظور: لسان العرب، ص: 1142، مادة (خرق).

[2]– امرؤ القيس: ديوانه، ص: 197.

[3]– ابن سلام: كتاب السلاح، تح: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 22.

[4]– علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص: 136.

Confidential

إنّ القوس أنثى وقد تذّكر وجمعها قسّي،وأقواس وقياس"[1]، يحنى طرفاه بقوة ويشّد فيهما"وتر من الجلد أو العصب الذي يكون في عنق البعير"[2].

ورد في معجم مقاييس اللغة[3] قوس: القاء والواو والسّين أصل واحد يدّل على تقدير شيء بشيء ثمّ يصرف فتقلب واوه ياء، والمعنى واحد فالقوس: الذّراع وسميت بذلك لأنّه يقدر بها المدروع وبها سميت القوس التي يرمي عنها وجمع القوس قسيّ وأقواس وقياس وهي على وزن فعل.

يقول امرؤ القيس:

أُرَاهُنَّ لاَ يُحْبِبْنَ مَنْ قَالَ مَالَهُ وَلاَ مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِقَوْسا[4].

لقد كانت القوس والسّهم أداتا نصر وغلبة عند الجاهليين فلذلك أكثروا وصف قسّيهم وسهامهم وهي في السّلم وسيلة لكسب العيش، لذلك أكثر الشعراء من التأمل في القوس والسّهم وأمنعوا الوصف في السّيف والرمح والدّرع وغيرها...

كما أولى الإنسان العربي الجاهلي القوس عناية واهتماما لأنّها استخدمت في مجالات عديدة، فهي غير محصورة للأعداء ودحرهم فقط بل كذلك الصّيد" وكان دأب القواسين إذ ذاك أن يطلبوا العيدان العتيقة من مضانها، وسيتدلوا عليها الرّعاوقناصوا لوعول ويجعلوا فيها جعائل"[5].

---

[1]- ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت408): المخصص، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج/6، ص: 37.

[2]- عون عبد الرؤوف: الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1961م،ص: 130.

[3]- ابن فارس: مقاييس اللغة، ص: 40، مادة (قوس).

[4]- امرؤ القيس، ديوانه، ص: 237.

[5]- سلامه السويدي، القوس في الشعر الجاهلي والإسلامي، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد: 21، 1419هـ-1918م، ص: 101.

Confidential

Confidential

ب–صفاته:

✓ **زوراء:** على وزن فعلاء، وهو قوس مائلة: من ذلك ما ورد في معجم لسان العرب[1] زور: الزّور، ميل في وسط الصدر ويقال القوس زوراء لميلها وشاهده

يقول أحد الشعراء:

عَـــــارَض زَوْرَاءَ مِـــــنْ شَتْـــــم غَيْـــــر بَـــانَـــاة عَلَـــى وَتَـــرِهِ.

✓ **هتوف:** على وزن فعول وهي القوس المصونّة من ذلك ما ورد في معجم مقاييس اللغة[2] هتف: الهاء والتاء والفاء كلمة واحدة، وهي الهتف والصوت وهتفت الحمامة صوّتت تهتف، وقوس هتافة وهتف، هتافا ذات صوت.

يقول الهذلي:

عَلَـــــى عَجَس هُتَـــــافَة المَذْرُوب مِـــــنْ زَوْرَاء مُضَعَجَـــة فِـــي الشَمَـالِ[3].

ويقول عنترة:

بِكُلِ هَتُـــــوف عَجِيبُهَـــا رَصُونَـــة وَسَهْم كَبِـــــير الجَـــرَى المُؤَنَـــفِ[4].

- **السّهام:**

أ–مفهومه:

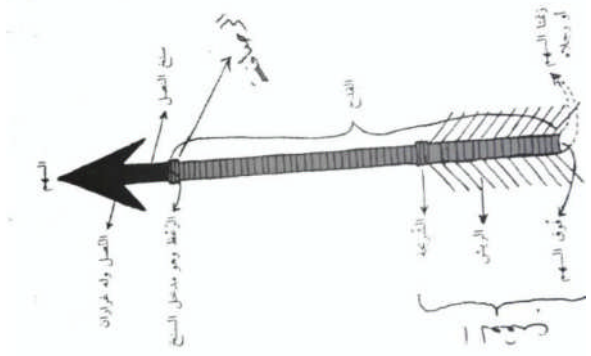

لقد كانت السّهام من أهم الأسلحة التي اهتم بها العرب قديما، فلم تستعمل لغرض الحرب فقط، بل كانت تستخدم للصّيد وتعليم الرماية أيضا،"السّهم الحّظ، والجمع

[1]– ابن منظور: لسان العرب، ص: 77، مادة (زور).

[2]– ابن فارس: مقاييس اللغة، ص: 32، مادة (هتف).

[3]– الهذلي: ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، طبعة دار الكتب، (د.ط)، (د.ت)، ص: 211.

[4]– عنترة: ديوانه، ص: 87.

سهمان وسهمة"[1]،كما نالت اهتماما واسعا لدى الشعراء.

يقول امرؤ القيس:

بَرهِيـــــــشُ مَـــــــتنَ كَنَـــــانَتِـــهِ كَتَلَّظِـــــــي الجَّمْـــرِ مِـــنْ شَـــــرَرِهِ

راشـــــــه مـــــــن ريـــش ناهضـــــة ثمّ أمهـــــاه علـــى حجـــــر[2].

ومن خلال الأشعار التي وصف فيها الشعراء السّهام نجد أنها عبارة عن "عود رفيع من الخشب صلب يزيد طوله عن ذراع، ركبت في أحد طرفيه حديدة مدببة تدعى النّصل وقد يركب في طرفه الآخر ريشا"[3]،

إضافة لما ذكرناه وهي ما يرمي بها القوس وكثيرا ما يقترن ذكر السهام مع القسّي وذلك من أجل العلاقة الوطيدة التي تجمعهما، فالسّهم يكمل القوس والقوس لا يمكن أن يقوم بدوره إلا بتوفر السّهام.

- **الدّرع:**

أ–مفهومه:

حظيت الدّروع في الجاهلية بمكانة كبيرة، حيث كانت عبارة عن حاجز يقف بين المحارب وسيوف العدو أثناء القتال، كما اعتبره الجاهليون سلاحا هاما في الحروب فسعوا لصناعته، لذلك فقد"تفنّن العرب قبل الإسلام في صناعة الدّروع من أجود أنواع الحديد وتربّط حلقات الدّرع بعضها ببعض بواسطة مسامير محكمة الصنع، وتكون نتوء تصد ضربات السّيوف والرّماح وتدعى الحرابي أو القتير"[4]، ومن خلال

[1]– ابن منظور: لسان العرب، ص: 3892.

[2]– امرؤ القيس: ديوانه، ص: 125.

[3]– ينظر: عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، ص: 130.

[4]– الطبري أبو جعفر محمد بن حرير (ت310هـ–928م): الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،(د.ط)، 1407هـ–1986م، ج/3، ص : 177.

Confidential

هذا نستنتج أنّ صناعة أحد أهم الفروع التي اهتم بها الجاهليون،"والدّرع هو عبارة عن قميص متخذ من زرد الحديد، يلبسه المقاتلون لحماية صدورهم من ضربات السّيوف، وطعنات الرّماح ورميات السّهام وله أكمام قصيرة تصل إلى منتصف الذّراع"[1].

وهذا يدّل على أهمية الدّرع ودوره في حماية المحاربين ودليل على أنّه نوع آخر أعتمد عليه بشكل أساسي في الحروب، ولا يبيّن هذا الكلام إلا قول الله عزّ وجل :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[3].

- **الخنجر:**

أ-مفهومه:

اعتبرت العرب قديما الخنجر سلاحا فرديا وشخصيا أكثر من كونه سلاحا حربيا لأنّه من المعروف أنّ كلالرجال والنساء كانوا يمتلكون الخناجر، فالسلاح هوكلّ ما يلحق الضرر والهلاك وهو أيضا ما يدافع به الإنسان عن نفسه عند تعرضه للهجوم، كما أنّه

[1]- ينظر: محمد شكري الألوسي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وضبطه: محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط.2)، (د.ت)، ج/2، ص: 66.

[2]- سورة سبأ: آية: 10-11.

[3]- سورة الأنبياء: آية: 80.

Confidential

"سلاح يدوي فردي خفيف شبيه بالسّيف"[1]، إلا أنّه"أصغر منه حجما يستخدم عند الالتحام المباشر والطعن خلصة"[2]، وهذا يشير إلى خفّة الخنجر ومدى صغر حجمه أنّ الإنسان العربي يستطيع حمله دائما "كان يحمل عادة في الجيب وكان يطلق عليه الجانبية، نظرا لوضعه في الجنب"[3]، كان الخنجر يشبه السكين كثيرا وقد يختلف عليه في الحجم والشكل قليلا، فالخنجر: هو السكّين العظيمة، الجمع: خناجر"[4].

ومن خلال ما عرضناه آنفا، نجد أنّ العرب في القديم قد خاضوا حروبا ومعارك كثيرة، حققوا بها انتصارات مجيدة، كتبت اسم عروبتهم بالذّهب في التاريخ، وهذا ما عزّز ثقتهم بقوتهم وشجاعتهم وتطورهم فسعوا إلى طريق النّجاح رغم ضآلة الأسلحة إلا أنّهم ساهموا في تطويرها وصناعتها لتكون أكثر فتكا وأشّد تنكيلا.

المبحث الثالث:القوس في لامية العرب للشنفرى

ولعلّ القوس تحمل رمزا كبيرا من نفوس الشعراء والفرسان خاصة، فقد نجدها حاضرة في ارتجال الحارث بن حلزة لمعلقته فيروي بأنّه كان متكئا على قوس فانغرزت في يده ولم يحسّ بالألم، وكانت حاضرة في حياة الشنفرى حضورا قويا فقد آثرها على باقي الأسلحة وهي رمز يعود إليه الفرزدق حينما ذكر قوس الكسحي التي كسرها حينما ظنّها سهامه أخطأت صيده، ويذكرها الشّماخ ويصفها وصفا ليس بعده أحسن منه في هذا الباب.

[1]– قتيبة الشهابي: صمود دمشق أمام الحملات الصليبية، منشورات وزارة الثقافة السورية، 1998م، ص: 76.

[2]– هندي إحسان: الحياة العسكرية عند العرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1964م، ص: 120.

[3]– دعاء طه حسين محمد علي: أدوات القتال المعدنية الإيرانية والتركية المحفوظة بمجموعة متحقق قصر العابدين، القاهرة، مصر، رسالة ماجستير، كلية الآثار جامعة القاهرة، 2004م، ص: 144.

[4]– الصعيدي: الإفصاح في فقه اللغة، ص: 596.

Confidential

وكان العرب في الجاهلية وصدر الإسلام يتكلمون اللغة العربية على السليقة والسّجية، نظرا لما كانت عليه العربية من قوة على عكس وقتنا الحالي، لأنّ العرب أغلبهم كانوا يتحدثون العربية الفصحى بطلاقة لذلك اختارها الله سبحانه أن تكون اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم.

ولهذا عنيّ العرب بالفصاحة والبلاغة والبيان منذ القدم فكانت أشعارهم بليغة المعاني وقوية الألفاظ تتمتع بجمالية الأسلوب وبجزالة الألفاظ وهذا ما نجده في جلّ أشعار العرب وأشهرها المعلقات وغيرها من الأشعار ولم تقتصر عند فئة معينة من الشعراء بل خصّت فئة الصعاليك أيضا وهذا ما نلمسه في لامية العرب التي اعتبرت من أجود ما قدمه الشعراء الصعاليك من أبرزهم الشنفرى

1-الشنفرى:

من أشهر الشعراء الصعاليك الذين اشتهر شعرهم بتنوّع المواضيع، وبالفصاحة والمواد الغنية، فقد غلب على شعره الفخر والوصف والتمّرد وغيرها.

كما اختلف الكثير حول اسم الشنفرى، وقد تعددت الروايات والآراء في شأن ذلك، لكن ما نقله الخطيب التبريزي عن أبي العلاء المعّري، حيث قال:"قال أبو العلاء، تكلّم الناس في اشتقاق هذا الاسم، فزعم قوم أنّه يراد به الأسد، وقيل الجمل الكثير الشّعر"[1]، غير أنّ لفظ الشنفرى لقب يعني عظيم الشفتين، وقد لقب به لعظم شفتيه، أو لحدّته ولقد كان الشنفرى أسود البشرة لأنّ "دماء حبشية تجري في عروقه من ناحية أمّه"[2]، لأنّها كانت حبشيّة، وقد ورث عنها سوادها، ولذلك عدّ الشنفرى في أغربة العرب"[3]، ويقول ابن منظور في هذا الخصوص: "والشنفرى اسم شاعر من الأزد،

[1]- البحتري: شرح الحماسة، ج/2، ص: 23.

[2]- طلال حرب: ديوان الشنفرى ومعه ديوانا السليك بن السلكة، وديوان عمرو بن براق، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1996م، ص: 25، نقلا عن محاسن بن إسماعيل بن علي الحلبي: شرح شعر الشنفرى الأزدي، تح: خالد عبد الرؤوف، (د.ط)، (د.ت)، ص: 12.

[3]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي -العصر الجاهلي-،دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط.23)، (د.ت)،ص: 379، نقلا عن محاسن بن إسماعيل الحلبي: شرح شعر الشنفرى الأزدي، تح: خالد عبد الرؤوف، (د.ط)، (د.ت)،ص: 12.

Confidential

وهو فنعلى، وهو من بين الصعاليك الذين عرفوا بالعداء فلا تلحقهم الخيل، وقال أيضا:"الشنفرى: اسم رجل"[1]، ومن أشهر قصائده لامية العرب التي كانت من بين النصوص الجاهلية التي حظيت بانتشار واسع يوازي انتشار المعلقات، فقد حملت صفات العروبةوتم ذكر الأخلاق والخصال الحميدة فيها، كما تعرض الشنفرى لمحاولات عديدة للقتل لكنّها باءت بالفشل، لذلك قدّر زمن مقتله 75سنه قبل الهجرة.

2- مضمون القصيدة:

لقد كان للشّعر الجاهلي أهمية بالغة، جعلت منه محط أنظار لكل من لديه إحساس بالجمال والأدب، كما نجد في هذا العصر فئة أخرى شكلت مفرقا مهما في تكوين اللّبنات الأساسية للشّعر الجاهلي، وهي فئة الصعاليك التي اشتهرت بأشعارها، وباختلاف نمط كتابتها لأشعارها وحياتها اليومية.

ومن الشعراء الذين عرفوا من هذه الفئة، الشنفرى وبالأخص لاميته، التي سميت بلامية العرب أو نشيد الصحراء، فالحياة التي عاشها هذا الأخير، من شعوره بعدم الانتماء إلى قبيلته، إضافة إلى انعدام الأمن والراحة والاستقرار، فجاءت هذه القصيدة كردّة فعل، وانتفاضة على الوضع الذي يعيشه، وكان هدفه من هذا هو الانتقام من قبيلته التي خذلته ولم تنصره، "فلم يتوان الشنفرى في تصوير حياته بكل صدق ووضوح، ولاسيما أنّه لم يكن يخشى الذّم واللّوم في الخروج عن أعراف المجتمع السائدة، وكذلك نهجه للانحراف الخلقي، وطعنه في سلوكات القبيلة، فاتخذ من النّهب والسلب والإغارة عمادا لحياته ومصدرا لرزقه"[2]، فقاطعته القبيلة وناصبته بالعداء، والكره، وهجر الأهل والأبناء والعشيرة فأمسى يعيش مع الحيوانات معوضا بها عنه عن أهله وقبيلته جاعلا منها مودع سرّه، حيث قال في قصيدته:

[1]- المرجع نفسه، ص: 431.

[2]- حرشاوي جمال: الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك(الشنفرىأنموذجا)، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2016م، ص: 97.

confidential

وَلِـــــي دُونَكُم أَهْلُـــــونَ سَيِّـد عَمَلَسٍ وَأَرْقَطُ زُهْلُولُ، وَعَرْفَـــــاءُجَيَّـــــأَلُ

هُمِ الرَّهْـــــطُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّـــرِ ذَائِـــعُ لَدَيْهم وَلَا الجَانِـــي بِمَـــا جَـــرَّ يُخْذَلُ

وَكُل أَبِـــــيٍّ بَـــــاسِلٍ غَيْـــرَ أَنَنِّـــــي إِذَا عَرَضَت أُولَـــــــى الطَرَائِـــد أَبْسَلُ[1].

فقد شكّلت لامية الشنفرى لوحة متكاملة لحياته، وحياة هذه الفئة، وما تكابده من صعوبات، وصراعات داخلية وخارجية جعلته في مواجهة مستمرة للبقاء على قيد الحياة،"وصور بعض الأدباء الشنفرى في صورة سيئة، فهو كما يقولون: يمثل الجانب الشيطاني للصعاليك"[2]، وهي أشهر قصيدة نسبت إلى الشنفرى، وقد جاءت على وزن البحر الطويل، بروي اللام المكسور وكان مطلعا كما يلي:

أَقِيمُوا بَنِـــــي أُمِـــــيّ صُـــدُورَ مَطِّيكُم فَإِنِّـــــي إِلَـــى قَوْم سِـــوَاكُـــم لَأَمْيَلُ[3].

وقد حظيت بمكانة خاصة، حيث جاء في كتاب الأغاني: "من لم يجمع من شّعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره"[4]، فكانت بمثابة الوعاء الذّي يغترف به كل من يبحث عن أصول التذوّق، والفصاحة والبلاغة، فنجد الكثير من الأدباء والنقاد المعاصرين قد عمل على شرحها وتحليلها، وكذا المبالغة في الاهتمام بمعانيها وألفاظها،"فلم تعرف قصيدة أخرى في الشّعر العربي تنافس لامية العرب في موضوعها، وفي مقدرتها على تصوير لون من حياة العربي هو حياة الصعلكة والصعاليك"[5]،ومما

[1]- الشنفرى: ديوانه، جمع وتحقيق: ايميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1417هـ-1996م، ص: 83.

[2]- يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط3)، 1978م، ص: 330.

[3]- الشنفرى: ديوانه، ص: 84.

[4]- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تح: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.3)، 2008م، ج/9، ص: 06.

[5]- ينظر: عبد الحليم حنفي: شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى، مكتبة كلية الآداب، القاهرة، مصر، (ط.1)، 2008م، ص: 56.

Confidential

جاء في الذّكر ما روّي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله:"علموا أولادكم لامية العرب، فإنّها تعلمهم مكارم الأخلاق"[1].

وهذا إن دّل فإنّما يدّل على المكانة الرفيعة التي جسدتها هذه القصيدة عبر كل الأزمنة والعصور إضافة إلى كونها منهجا خلقيا يهتدى به، فصوّرت"الشدّة واليأس والصبر على المكاره، ثمّ أنّها تبعد عن الإنسان شبح التّرف الذي يبطر النّفس، ويفسدها، ويطرد عنها الرخاوة والطراوة"[2].

مما ورد أيضا في الدراسات الحديثة قول أبو هلال العسكري، الذي أشاد هو الآخر بهذه القصيدة، ومما هو فصيح في لفظه جيّد في رصفه قول الشنفرى:

أَدِيمُ مُطَال الجُـــوعِ حَتَـــى أُمِيتُـــــهُ وَأَضْرب عَنْـــهُ الذِّكَرُ صَفْحًـــا فَأَذْهَلُ

وَلَوْلَا اِجْتِنَـــاب الدَّام لَم يَبْـــق مَشْـــرَب يُعَـــاشُ بِـــهِ إِلَا لَدَّي وَمَـــأْكَل

ولَكِـــنّ نَفْسًـــا حُـــرَّةً لاَ تُقِيـــم بِـــي عَلَـــى الضَّيم إِلَا رَيْثَمَـــا أَتَحَـــوَلُ[3].

كما وصفها أبو علي الغالي "أنّها من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول"[4].

وبهذا الشكل"كشف لنا الشنفرى عن حياته، وحياة طائفة الصعاليك، وذلك من خلال تلك الصور الشّعرية الرائعة التي أوردها في شعره، والتي عبّر فيها عن فلفسته في الحياة وهي فلسفة ارتهنت بروح التمرد والثورة داخل نفسه أولا، وهي ثورة انتصر فيها لنفسه وللصعاليك ونتج عنها ثانيا تصويرا أعمال الغزو، والنّهب والسّلب مما عكس بصدق صورة الصراع بين طائفة الصعاليك، والنّظام القبلي

[1]– الصدفي: الغيث المسجم في شرح لامية العجم، المطبعة الأزهرية، القاهرة، مصر، (ط.1)، 1305هـ-1989م،ج/1، ص: 13.

[2]– محمود حسن أبو ناجي: الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، دراسة فنية تتناول حياة الشاعر ومذهبه وتحليل اللامية والتائية، دار الشروق، وجدة، السعودية، (د.ط)، (د.ت)، ص: 112.

[3]– أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص: 54.

[4]– ينظر: أبو علي القالي، الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط.1)، (د.ت)، ج/1، ص: 156.

Confidential

الذي كان سائدا بشكل واضح"[1]، وللغوص أكثر في مضامين هذه القصيدة، نحاول أن نخوض في غمار تحليل وشرح أبياتها، والكشف عن معانيها، وذلك من خلال تقسيم أبياتها إلى أقسام، بحيث يندرج كل قسم على تفاصيل مختلفة لحياة الصعاليك.

القسم الأوّل يشمل البيت الأوّل إلى غاية البيت الرابع: والذي استهله الّشاعر بمعاتبته لقومه والانسلاخ عن نظامها، باحثا عن انتماء جديد وعن عالم أمثل.

و القسم الثّاني: يحدد فيه الشاعر انتماءه الجديد، الذي يفضل فيه الحيوانات والوحوش على بني جلدته، ويتضح ذلك من خلال البيت الخامس إلى البيت التاسع.

أمّا القسم الثالث: فيتشكل من البيت العاشر إلى البيت العشرين: واصل فيه الشاعر الحديث عن موطنه الجديد، وتكيفه مع هذا المصير المحتم، الذي اختاره بنفسه وجاهد من أجله، بالإضافة إلى عرضه لشجاعته وبسالته، من خلال امتلاكه لقلب حديدي، وسيف حاد صقيل، وقوس قوية، مركز على وصفها وذكر خصالها.

والقسم الرابع: تميز بوصفه للجوع، وكان من البيت الواحد والعشرون إلى البيت السادس والثلاثون: مواصل حديثا عن اللانتماء الذي يشعر به في موطنه الجديد، وتناقض أحاسيسه بحنينه إلى موطنه الأصلي وإلى قبيلته، مصورا معاناته مع الجوع، الذي رمز له بالذئب المتوحش.

أمّا القسم الخامس: فوصف الشاعر فيه القطا، ونومه وراحته،وشروره، ومشاغله ويضم البيت السابع والثلاثون إلى البيت تسعة وأربعون: عودته للحديث عن الذات وحبّه للعلو والرفعة، مقابل الرضوخ ، والنكوص، ما جعل نفسيته تنهار ثم يفتح المجال لتذكر ماضيه، والحنين إلى ذكرياتها الجميلة التي عاشها مع قبيلته.

[1]- حرشاوي جمال: الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك(الشنفرىأنموذجا)، ص: 99-100.

Confidential

أمّا القسم الأخير: ويشمل باقي في الأبيات، ويصف فيه غناه وفقره، وكذا الليل والمطر والنّهار، ويصّر على عودته إلى انتماءه الذّاتي، وإصراره على مناقضة القبيلة وأعرافها وإقامة علاقة وطيدة مع الموجودات والحيوانات، والتكيّف مع قساوتها من حرّ وبرد، والرضا بالمصير المحتوم.

وفي الأخير يمكن القول أنّ الشعر الصادر عن الشنفرى، وعن غيره من الصعاليك ما هو إلا صرخة مدوية، أقلقت نظام القبيلة الإجتماعي، ليوقن أسيادها أنّ ثمة من يشتهر سيفه وكلمته في وجه الظّلم والفقر والجوع، وهنا تبرز أهمية شعر الشنفرى وفئة الصعاليك بوجه عام.

3-ملامح القوس في لامية العرب:

تمثل صورة القوس الصورة النمطية، التي جسدها كل شاعر عربي في شعره، معبرا عن معاناته، وفرحه، ومتعته في البحث عن اللهو، والرزق، وقد رسمت لامية العرب للشنفرى هذه الصورة، فعبر عنها بالمرأة الثكلى التي فقدت ابنها، أو الصياد الذي يسعى نحو رزقه،أو لهوه، فنجده يصور القوس في قوله:

إِذَا زَلَ عَنْهَـــا السَّهْمُ حَنَـــــتْ كَأَنَهَـــــا مُرَزَأَةٌ ثَكْلَـــــــى تَـــــرِنُّ وتَعُـــــولُ[1].

فهو "يشبه صوت قوسه عند انطلاق السهم منه بصوت المرأة، أو الناقة التي فقدت ولدها مستخدما بذلك أداة التشبيه (كأن) لإحداث هذه الصورة المؤثرة، ولعل الشنفرى أراد بهذه الصورة التشبيهية ، أن يبرز قوة العلاقة بين قوسه وسهامه فهما يمثلان الأم وولدها، وما الصوت الذي يحدثه ذلك القوس إلا نحيب وبكاء على ذلك الابن "السهم" الذي انطلق بعيدا"[2]، مفارقا أهله، وأحبته، وكل من له به صلة.

[1]- الشنفرى: ديوانه، ص: 85.

[2]- البشير إبراهيم أبو شوفة: الصورة الشعرية في لامية العرب، المجلة العليمة لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، العدد05،يونيو، 2016، المجلد2، ص: 19.

Confidential

فهذا القوس يجسد انفصال الشاعر عن قومه وعن بني جلدته، فهو يعبر عن حالة شعورية تختلج الشاعر من حزن، وفقدان، ولزيادة عمق هذه العلاقة، استعان بالاستعارة على سبيل المثال، لتصوير مدى قوتها، فشبه ما تحدثه من صوت عند الرمي بها، بحنين الثكلى، بجامع إحداث صوت في كل، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به، واشتق من الحنين الفعل "حنت" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ونجح الشاعر في رسم الصورة الرائعة التي عكست مقدار العلاقة القوية بين سهام الشاعر وقوسه، "وفي وصف هذا الأخير يجتمع نموج خاص، صورة تتجاذب بها طقوس الفرح والزينة، وفي مقابلها طقوس الثكلى والفجيعة، كما أنها امتداد لهذا العالم عالم الصحب الذي يقوم على الحفظ والرعاية"[1]، وفي الوقت ذاته يرتبط بالألم والفقد، وتهفو صورة الفرح والحزن المجتمعة في القوس إلى رسم مأساوي عن الانفصال الذي لم يحفل به العالمان السابقان، بل وأسسا له، إما عن طريق السكون، أو الحركة السلبية في كل من:

وفِـي الأَرْضِ مَنْـــأَى لِلْكَرِيْمِ عِـــنْ الأَرْضِ وفِيْهَـــــا لِمَـــنْ خَـافَ القَلَـى مُتَعَزِلُ[2].

وكذا في قوله:

وإِنْ مُدَتْ الأَيْدِي إِلَـــى الزَاد لَـــمْ أَكُـــنْ بِأَعْجَلِـهِمْ إِذْ أَجْشُـعُ القَوْمِ أَعْجَـــــلُ[3].

كما أن وصف السلاح في شعر الصعاليك ارتبط في أكثر من موضع بالقلب، فنجد عمرو بن براقة يقول:

مَتَـــى تَجْمَعُ القَلْـــبَ الذَكِـــيُ وصَارَمَـــا وأَنْقَـــا حَمِيَـــا تَجْتَنِبُـــكَ المَظَالِـــمُ[4].

---

[1]- رحيمة شيتر: بنية الخطاب الشعري في لامية العرب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي،جامعة محمد خيضر، بسكرة، 1423هـ- 2003م، ص:41.

[2]ن- يوسف شكري فرحات: شرح ديوان الصعاليك، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1992م، ص: 38.

[3]- المصدر نفسه، ص: 38.

[4]- أبو فرج الأصفهاني: الأغاني دار الثقافة، بيروت، لبنان، (ط.1)، مجلد21، 1983م،ص: 197.

Confidential

إن هذا الارتباط يمنح الصعلوك القوة على تغيير اتجاه الحركة من ذاته إلى القبيلة، التي تصبح مطالبة بممارسة التنحي والابتعاد عن الشاعر.

وتظهر طقوس الفرح جلية في وصف القوس من خلال الصورة الجمعوية والتي ترتبط بالزينة في قوله:

هَتُوفٌ مِـــــنَ المَلْمَسِ المَتُـــونْ يُزَيِنُهَـــا رَصَـــائِعُ قَـــدْ نِيْطَتْ إِلَيْهَـا ومَحْمَـلُ[1].

فالزينة التي تصبغ على القوس هي نتيجة التلاحم والتعالق، الذي يكشف عنه الشطر الثاني، والذي يشمل على تلاحماً شكلياً يبديه فعل الترصيع، وتلاحم معنوي يبديه فعل التعلق، وكذا وجود قوة مستمرة في فعل المضارع تمارس عملية التزيين، ولعل هذا ما دفع الشاعر لتعطيل سلاحه في مرحلة لاحقة من النص، علّه يكسب الآخر لكنه ينتهي إلى فقدانهما معا، كما سنجد في ختام القصيدة:

ولَيْلَةِ نَحْـــسٍ يَصْطَلِـــي القَوْسُ بِهَـــا وأَقْطَعَـــهُ اللاَتِـــي بِهَـــا يَتَنَبَـــلُ.

فَأَيَمَـــتْ نِسْوَاتَـــا وأَيتمـــتْ وِلْـــدَةً وعَـــدَتْ كَمَـــا بَدَأَتْ واللَيْلُ أَلْيَـلُ[2].

فلا تلبث طقوس الفرح طويلا، إذ سرعان ما تتراجع، تاركة القضاء لصورة الانفصال المأساوية:

إِذَا زَلَ عَنْهَـــا السَّهْـــمُ حَنَّـتْ كَأَنَهَـــا مُرَزَأَةٌ ثَكْلَـــى تَـــرِنُ وتَعُـــــولُ[3].

كما أن خروج السهم وانطلاقه من القوس، منفردا هي أشبه بحركة الشاعر وانفصاله عن قومه، فيعود الشاعر لفاتحة النص المادية مستمدا منها صورة انشطار الفاعل إلى ذاتين (الأم/الابن) و(القوس/السهم)، ومما يرجح هذه الفرضية، التقاطع بين السهم والعالم الإنساني، وكذا ردة الفعل التي تبرزها القوس حيال هذا الانفصال، مما يدفع الشاعر إلى التصريح بذلك النموذج، الذي حاول

[1]- يوسف شكري فرحات: شرح ديوان الصعاليك، ص: 38.

[2]- يوسف شكري فرحات: شرح ديوان الصعاليك، ص: 38.

[3]- المصدر نفسه، ص: 38.

Confidential

جاهدا لإيقاف مساره، عن طريق البحث عن عوالم جديدة، يفصح عن النموذج الانفصالي عن طريق المشبه به (مرزأة ثكلى)، وهي صورة جلية عن الانفصال، وهذا ما يوضح ارتباط الصحب بالألم، فكان الصعلوك يعي سلبية هذا الصاحب بالنسبة للآخر، الذي حاول جاهدا كسبه في صورة القوم والأهل، ولكنه كان دائما يخذل.

وفي هذا الفصل يبرز الشاعر "الانفصال عن القبيلة، التي يقوم جل أفرادها على التأسيس للحركة الانفصالية، مستخدما صيغة النفي (ليست/لا)، وذلك عن طريق استخدام لفظة تعمق الانفصال وتمنحه بعدا مأساويا"[1]:

وإنِّـــي كَفَانِـي فَقْدُ مَـنْ لَيْسَ جَازِيـاً بِحُسْنَـى ولَا فِـي قُرْبِـهِ مُتَعَـلَلُ[2]

وهذا التمازج القائم أساسا بين الجانب الإنساني والجمادي، شكل لنا صورة مأساوية عن الانفصال، التي تجسدت في صورة القوس.

كما نجد أن في قول الشاعر:

إِذَا زَلَ عَنْهَـا السَّهْـمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَـا مُرَزَأَةٌ ثَكْلَـى تَـرِنُّ وتَعُـولُ.

فَضَجَّ وضَجَّـتْ بِالبَـرَاحِ كَأَنَّهَـا وإِيَّـاهُ نُوحُ فَـوقَ عَلْيَـاءِ ثَكْـلَ[3].

أن المشبه به هنا ينتمي إلى عالم الجماد، عن طريق المشاركة في الفعل، واستحضار صورة الثكل، وكذا صورة الانفصال عن طريق ما يتعلق بها من أصوات:

ترنّ وتعول ـــــــــــــــــــــــــــ نوح.

ثكلى ـــــــــــــــــــــــــــ ثكل.

[1]- رحيمة شيتر: بنية الخطاب الشعري في لامية العرب، ص: 47.

[2]- يوسف شكري فرحات: شرح ديوان الصعاليك، ص: 38.

[3]- - يوسف شكري فرحات: شرح ديوان الصعاليك، ص: 38.

Confidential

فقد قام الشاعر بتكثيف للأزمنة الماضية والحاضرة المستقبلية في صورة القوس من خلال قوله:

هَتُـوفٌ مِـنَ المَلْمَسِ المَتُـونِ يُزَيِنُهَـا رَصَـائِعُ قَـدْ نِيْطَتْ إِلَيْهَـا ومَحْمَـلُ

إِذَا زَلَ عَنْهَـا السَّهْـمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَـا مُرَزَأَةٌ ثَكْلَـى تَـرِنُّ وتَعُـولُ[1].

فهذه الصورة تكشف عن صورة الفقد والثكل، مشيراً إلى استمرارية زمن الحزن والفجيعة، والتي تتولد أساساً من عدم فعالية زمن الرفض، بحيث قام باعتماد الأهل بديلا للقبيلة، وكلاهما وجهان لعملة واحدة.

كما أن صورة القوس لا تختلف كثيرا عن صورة الحيوان، إذ تتخذ مظلية للتعبير عن رفض زمن معين هو زمن صمت القبيلة، والتي لا تعبأ بالانفصال، بل تعمل على تقريبه زمنيا، عن طريق النظام الذي فرضته "نظام الطاعة، بشكل مطلق، وكل خروج على هذا النظام هو خروج عن القبيلة،وعقاب هذا الخروج هو طرد الفرد الخارج"[2].

[1]- المصدر نفسه، ص: 38.

[2]- أدونيس: كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1989م، ص: 63.

Confidential

Confidential

– مخطط يوضح العلاقة بين صورة القوس والشاعر، والقبيلة:

– القوس هي صورة الثبات:← القبيلة.

– السهم هو صورة الحركة:← الشاعر.

↓ ↓

انفصال مأساوي، إلا أنه يبدو فعالا حيث يصيب طريق السهم الهدف. (في الواقع) النص يكشف.

انفصال لا تأبه به القبيلة والشاعر،يهفو إلى جعله فعالا عن بناء الذات، في انتظار إصابة الهدف (الذي تكشفه المواجهة لاحقا).

↓ ↓

مسار السهم في اتجاه واحد (الخروج) ما يدعو إلى تعطيله لاحقا.	مسار الشاعر يتم في زمن الرفض.	انفصال غايته تحقيق الفاعلية.	يتم في زمن الفاعلية، عودة إلى القبيلة غايته إثبات الفاعلية"[1].

إن صورة الرفض التي عبرت عنها القوس، وأصبغتها بصيغة زمنية مستمرة، من خلال استخدامه للفعل المضارع بصورة مثيرة (ترن،وتعول)، فالفعلان ينشطران دلاليا للتعبير عن طقسين: الفرح والحزن، فهما يحملان دلالة صوتية ذات مؤشر بكائي، فهذه الحالة تستخدم للإعلان عن الميلاد، كما تعبر عن الفقد والفجيعة، فقد أسست صورة القوس إلى شمولية زمنية، تضم اللحظتين الفاعلتين في حياة الإنسان (الميلاد، الموت)، كما أرست للتعبير عن زمن الرفض الذي يقابله

[1]– رحيمة شيتر: بنية الخطاب الشعري في لامية العرب، ص: 86.

الصمت، كما أدت هذه الصورة إلى بلوغ زمن الرفض مبلغا قصيا، عبر عنه أسلوبيا بتلك المتوالية التي شكلت سابقا نقطة انعطاف، فصورة القوس انطلقت من المحدد المعبر عنه بالقدم، وصولا إلى المطلق.

كما عبر بقوله:

ولَيْلَـــةٍ نَحْسٍ يَصْطَلِـــي القَـوس رُبَهَـــا وأَقْطَعُـــــهُ اللاَتِـــــي بِهَـــا يَتَنَبَـــــلُ"[1].

هي امتداد عن ليلة مأساوية، هي "امتداد لزمن الحرب (أم قسطل)، بل هي ذلك الزمن الذي ربطه الشنفرى بالفرح، وفي التقاطع بين الزمنين إيماء إلى أن الليلة هذه تكون ذات فاعلية إيجابية بالنسبة للشاعر"[2]، فهذه الليلة قامت بتعطيل وسائل الحرب، وفي هذا إشارة إلى أن الثائر يخلق الوسيلة، ولا يستخدم تلك التي توفرها الطبيعة أو النظام، فهذا التعطيل في وسائل الحرب يكشف عن تجاوز للزمن الرفض، والحلم معا، الذين عبرت عنهما الصورة المأساوية الناجمة عن انفصال السهم والقوس.

وقد تجسد هذا الانفصال في اختياره لأصدقاء يأنس بهم، ويلجأ إليهم في وقت ضيقه، وكانت بديلا عن أهله وقبيلته، التي تنكرت له، وقد وصف هذا في قوله:

ثَلاَثَـــةُ أَصْحَـــــابٍ: فُـــؤَادٌ مُشَيَـــعٌ وأَبْيَـــضُ اِصْلِيْـــــتُ، وصَفْـرَاءُ عَيْطَـلُ[3].

وهؤلاء القرناء الأخلاء هم: قلب مقدام، وسيف مجرد، وقوس قوية،فجعل من القوس معادل موضوعي للإحساس، الذي يختلجه، فهو يمثل القبيلة، والسهم هو الفرد المنتمي إليها، وهذا الفعل الناجم عن انفلات السهم من القوس هو تعبير عن انفصاله عن قبيلته، فالشاعر هنا يصور لنا صورة حية حركية، كما أن هذه الصورة ظهرت جلة من خلال رسمه للوحة المرأة الثكلى التي افتقدت أعزّ شيء عليها، فحنت وأطلقت عنان صوتها بالأنين والبكاء والعويل، فيمكننا القول أن الشاعر كان

[1]- يوسف شكري فرحات: شرح ديوان الصعاليك، ص: 38.

[2]- رحيمة شيتر: بنية الخطاب الشعري في لامية العرب، ص: 101.

[3]- يوسف شكري فرحات: شرح ديوان الصعاليك، ص: 38.

Confidential

يريد بالقوس قبيلته، وبالسهم ذاته، وبالأنين والعويل ذلك الخسران، الذي افتقدته القبيلة بفقدان عزيز قوم، وهذا ما جاء به الدكتور الجعافرة نقلا عن إبراهيم السنجلاوي: "إن الشاعر يرمز بقوسه إلى قبيلته، وبالسهم الذي زّل عنها إلى نفسه، ثّم يضيف قائلا:وهو تفسير ينسجم مع فؤاده المشيع ..."[1].

لقد كانت قصيدة لامية العرب للشنفرى من أجود ما جادت به قريحة الشاعر من رسم للواقع، والحياة البدوية، بكل ما تحمله من معالم إنسانية واجتماعية، فصورنا لنا معاناة الصعلوك في قبيلته والرفض الذي قابلته به، وكان للقوس الدور الفعال في تشكيل هذا الصراع المتأزم، كما كان الرفيق الأنيس له في سلمه وحربه.

[1]- الجعافرة ماجد: الشعر الجاهلي، دار الكندي، الأردن، (ط.1)، 2003م، ص: 36.

Confidential

Confidential

المبحث الأول: نبذة عن الشماخ بن ضرار

لقد عرفت الجاهلية بكثرة شعرائها، الذين نبغوا في نظم أجود الأشعار، وأرفعها، كما جعلوا منه وسيلة للتعبير عن مكنوناتهم ومشاعرهم المتضاربة،إضافة إلى كونه سلاحا ذو وجهين، يشهره تارة في وجه أعدائه، وتارة أخرى في وجه الأقربين، ويعد الشماخ بن ضرار الذبياني من أشهر شعراء الجاهلية والإسلام، ومن الذين مزجوا بين معتقدات الجاهليين، ومعالم الدين الجديد.

وهذا الشاعر"هو الشّماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن أصرم بن إياس بن ثعلبة بن سنان بن أمامة الذبياني الغطفاني، وكنيته أبو سعيد، وهو أحد عوران الخمسة من فحول الشعر وهم: تميم بن أبي بن مقبل والراعي النميري، وحميد بن تور وبن أحمر الباهلي والشّماخ"[1]،"وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، والشّماخ هو لقبه أما اسمه فمعقل، وقيل الهيثم، وقيل عنه: "إنه أشعر غطفان،كما عرف بأنه أوصف الناس للقوس والحمار"[2]، إضافة أنه لم يتأثر بهذا الدين الجديد في ترقيق طبعه، وليونة أسلوبه وتعبيره، وفي تنوع موضوعاته، وفي الأخذ من تلك الإشراقات والهداية التي جاء بها الإسلام بأي نصيب، لأنه كان يعيش بالبادية، "فقد عاش بين قوم أسلموا وارتدوا أول الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثّم عادوا إليه بعد حروب الردة،فظلوا على خشونتهم وجفاوتهم، بل ظل شعره بعد إسلامه كما كان جاهلي الطابع، وعر اللغة فيه كزازة، وعرف عنه أنه غزا في فتوح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وشهد القادسية، ثّم غزا أذربيجان مع سعيد بن العاص، فاستشهد في غزوة موقان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه"[3].

---

[1]- الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشرت: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، صححه وعلق عليه: د.ف.كرنكو، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط.1)، (د.ت)، ص: 138.

[2]- الأصفهاني أبو الفرج: الأغاني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ط)، (د.ت)، ج/9، ص: 158.161.

[3]- الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر، (د.ط)، 1327هـ- 1906م، ص: 120.

وفيما يخص عائلته فتتكون من أمه وأخويه، وأما والده فلم يذكر في المراجع،"فأم الشماخ هي من بني الخرشب، واسمها معاذة بنت بجير بن خلف، وتكنى أم أوس، وكان للشماخ أخوان، مزرّد وجزء، وهو أفحل إخوته، وقد روى البغدادي في خزانته قصته مع إمرأته السلمية، وطلاقه لها، ومات "الشماخ وجزء" متهاجرين بسبب إمرأة أحبها الشماخ ثم سافر، فتزوجها"جزء"فآلى ألا يكلمه وهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

لَـنَا صَاحِبُ قَـدْ خَانَ مِنْ أَجْـلِ نَظْرَ سَقِيْـمُ الفُـــــؤَادِ حُـبُّ كَلْبَـةَ اغِلَهْ[1].

وقد أظهر شعر الشماخ جرعة من المشاعر المأساوية، جراء ما كابده من معاناة في حياته، فقد "عاش الشماخ طفولة مؤلمة، وضاق مرارة اليتم صبيا، وابتلى بوجه دميم، وقامة حمراء قصيرة لعلهما كانا سبب معاناة في شبابه، فضلا عما عرف به من تشدّد في الإنفاق، ولعل هذه الأمور مجتمعة كانت وراء إخفاقه في الزواج مرتين، وإخفاق تجاربه العاطفية مرارا، في خضم هذه الحياة الأسرية المضطربة والاجتماعية بعامة، وجد الشاعر نفسه في عزلة خانقة، وكانت الرحلة سبيله لتسلية الهموم"[2]،"وكان من مظاهر علاقته المتأزمة بالجماعة أن قلما نجد ذكرا لها في شعره، فهو بعيد تمام البعد عن أحداث القبيلة، وشؤونها، وهجاء خصومها، أو تخليد مآثرها، حتى إن شعره يكاد يقتصر على الوصف"[3]، فيمكن القول أن الشماخ قد وجد في وصف الجماد، والطبيعة بمختلف أطيافها، المتنفس الرحب لمواجهة هذه الأزمات، بعيد عن بني البشر، كما يقول الناقد العربي ابن سلام الجمحي: "لاسيما وقد جاء جّل شعره في الوصف، وصف حيوان الدّو، وبخاصة حمر الوحوش والظباء والناقة، ووصف القوس، ومناظر الصيد، والوصافون يعمدون إلى كلمات فنية خاصة، ليست مألوفة ولا متداولة ولذلك جاء شعرهم الوصفي غالبا مستغلقا وعر العبارة، جافي الألفاظ"[4].

---

[1]– الشماخ: ديوانه،شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 118.

[2]– الهادي صلاح الدين: الشماخ بن ضرار الذبياني –حياته وشعره–، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 80-107.

[3]– المرجع نفسه، ص: 113.

[4]– الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 119.

Confidential

وقد تختلف الآراء حول هذا الشاعر إلا أنه_وبالإجماع _ شاعر فحل، جعله ابن سلام الجمحي في الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية، وقرنه بالنابغة الذبياني الجعدي، وأبي ذؤيب الهذلي، ولبيد بن ربيعة العامري، وقال عنه: "فأما الشماخ فكان شديد متون الشعر،يريد عباراته وألفاظه وصياغته، أشد أسر كلام من لبيد،يريد بناء الكلام وتركيبه، يعني أنه غير مشرخ ولا ضعيف متخالف،وفيه كزازة، يريد أنه قليل الماء غير لين ولا سهل، بل فيه يبس ونقيض، ولبيد أسهل منه منطقا"[1]، وبسبب غرابة ألفاظه الممعنة في البداوة، قل الاستشهاد بشعره في كتب الأدب، ولكن علماء اللغة وجدوا في هذا الشعر فيضا من الغريب فاهتموا به، "وذكر أصحاب كتب التراجم أن الحطيئة قال في وصيته أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان، وفي أغاني أبي فرج: قال الحطيئة: من الذي يقول إذا أنبض الرامون...البيت قالوا: الشماخ، قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب، وعده ابن قتيبة: "أرجز الناس على بديهة"[2]، وساق أمثلة على ذلك، ولقد رثى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأحسن وجاد، وكان أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شيعة قد طعن عمر، وطعن معه اثني عشر رجلا من المسلمين في صلاة الفجر، فمات منهم ستة وعمر سابعهم، قال:

جـزى الله خَيــــرْاً مـــــــن أَمِيرٍ وَبَارَكَــتْ يــــدُ الله فـــــي ذَاكَ الأَديـــــم المُمــزَقِ

فَمـــــن يَسْعَ أو يَرْكَبْ جَنَاحـــــــــي نَعَامة مـــــا قدمـــــــت بالأَمـــــس يُسبَـــــقِ

قَضيْـــــتَ أُموراً ثُم غَـــادَرْتَ بَعْدَهَـــــــا يُوَائج فِـــي أَكْمَـــــامِهَـــا لَـــــمْ تَفْتَّقِ[3].

وصدق الشماخ، فقد غادر عمر بعده أكماما تفتقت عن أشد الدّواهي، وبعبارة الشيخ محمود محمد شاكر، واشتهر مديحه في عرابة بن أوس القيظي:

[1]- الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 119-120 .

[2]- المصدر نفسه، ص: 120.

[3]- الشماخ: ديوانه، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1388هـ- 1968م، ص: 448-449 .

Confidential

رَأَيْـــتُ عَرَابـــةَ الأَوْسِـــــــــي يَسْمُـــو إِلَـــى الخَيْـــرَاتِ مُتَقَطِـــعُ القَرِيْـــنِ

إِذَا مَـــا رَايَـــــــةُ رُفِعَـــتْ لِمَجْـــدٍ تَلَقَـــــاهَـــا عَرَابَـــةَ بِاليَمِيْـــــــنِ[1].

ووقف البغدادي في خزانته على قوله يخاطب ناقته، التي تحمله إلى ممدوحه:

إِذَا بَلَّغَتْنِـــي وَحَططـــتْ رَحْلِـــــــي عَرَابَـــــةَ فَاشْرِقِـــي بِـــدَمِ الوَتِيْـــنِ[2].

ثّم طفق يستعرض مواقف القدماء شعراء وغير شعراء من هذا القول، قال: " وأول من عاب على الشماخ عرابة ممدوحه فإنه قال له: بئسما كافأتها به، وكذا عاب عليه أحيحة بن الجلاح، ثّم ذكر موقف المبرد منه، ونقل قوله: وقد أحسن كل الإحسان في قوله: إذا بلغتني وحططت...البيت، ومعنى يعرض مواقف العلماء والشعراء من هذا البيت في حديث طويل"[3].

ومما جاء في الذكر أن صاحب الخزانة قال: "وكان الشماخ يهجو قومه وضيوفه،ويمن عليهم بقراه"[4]، فهذا توهم، وتلك الصفات كان أخوه"مزرّد"يتصف بها، وقد تم تصحيح ذلك من قبل محقق كتاب الشعر والشعراء.

ولقد احتوى شعر الشماخ في الصيد والصياد، ومنظر الحمر الوحشية التي يقودها حمار وحشي إلى موارد الماء، وما يعتريه من حالات نفسية مختلفة، وهو يمشي على حذر، مخافة الوحش الضاري أو الصياد المتربص.

كما اشتمل هذا الشعر على قطع رائعة في الوصف استطاع بها الشماخ أن يتغلغل في نفسية حمار الوحش، وأن يتتبع أدق خلجاته، ونبضات قلبه، ومختلف أحواله من رضا وغضب وخوف وأمن، وضمأ، وتعب وراحة، ويأس ورجاء، حتى كأنّه يعيش معه، وذلك لدقته العجيبة في رصد

[1]- الشماخ: ديوانه، تح: صلاح الدين الهادي، ص: 335-336.

[2]- المصدر نفسه، ص: 323.

[3]- أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، السلفية، (د.ط)، (د.ت)، ص: 67.

[4]- الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 120.

Confidential

أحواله الخارجية، وما يختلج في نفسه من انفعالات، ثم تلك اللوحات الرائعة للصحراء والأدغال، وتربص الصياد وصبره الطويل، واستعداده للصيد واقتناص الفريسة، وقد سمع دبيبها من بعيد، وكيف يحبس أنفاسه، ويخفي شخصه ويضائله حتى لا تحس به ولا تنفر منه.

ومن جملة الأشياء التي اشتهر بها الشماخ وأبدع في وصفها هي القوس منذ أن كانت غصنا في شجرة ، متوارية عن الأنظار، محاطة بحراس شداد من أشجار الشوك، إلى أن اقتحم عليها حذرها غير مبال بما يلاقيه من لطمات وخدوش، ثم حصوله عليها وتركها عامين في الظّل الظليل ليجف ماؤها، ويصلب عودها، ثم تهذيبها وتثقيفها، ثم بعد أن صارت ملك يمينه ، يعجب بها ويمنى نفسه الأماني الطائلة بما مدينا له منها، وما استجلب له من الخير، وهو لم يصبر كل هذا الوقت إلا على هذا الأمل، وكيف اضطّر تحت وطأة البؤس و الفاقة إلى أن يعرضها في الأسواق، وما إن رآها من يعرف قدرها وأصالتها حتى فتن بها حبّا، وأخذ يساومه عليها، ويغلي فيها المهر وهو متردد في بيعها لشدة إعزازه لها وإعجابه بها، فيكاد يرفض على الرغم من الذهب والفضة والأثواب، والجلود التي بذلت في سبيلها، وهنا يتراءى له شبح فاقتهن ويعجب الناس لتردده فيحثونه على البيع، ويخفت صوت ضميره برهة فيبرم الصفقة، ويفارقها، وهو أشد الناس حبّا لها وظنا بها، وما أن فارقته، حتى اضطرب قلبه وارتاع فؤاده، وأخذ يتتبعها بخيالهن وهي في حوزة الفارس التي اشتراها، وكيف يطرب لصوتها وأنينها، وكيف تجلب له الخير.

فقد قال ابن قتيبة: "وهو أوصف الشعراء للقوس"[1]، كما تعد قصيدة الزائية من درر الشعر العربي، التي وصف فيها القوس والقواس، وهي قصيدة فريدة في بابها، فكانت ملهمة الشيخ محمود محمد شاكر في كتابة قصيدته الخالدة "القوس والعذراء"، وقد نوّه صلاح الدين الهادي بشعر الشماخ فقال: "شعر الشماخ في القوس من أروع وأبدع ما جادت به قريحته، وتفتحت عنه شاعريته في فن الوصف، بل في شعره عامة"[2]، وقد سبق الشماخ جملة من الشعراء في طرحه للمعاني، مثل أوس بن

[1]– الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 119.

[2]– صلاح الدين الهادي: الشماخ ين ضرار الذبياني –حياته وشعره–، ص: 195.

Confidential

حجر، وذلك لإبداعه في التصوير، وروعة خياله، وهذا ما أورده صلاح الدين الهادي في قوله: "للشماخ بعض الفلذات الوجدانية، لا تجد لها نظيرا عند أوس، كما أنه في بعض معانيه وصوره، يمتاز على أوس بأنه لا يقيد خيال القارئ، ويحكم ربطه بالواقع المحسوس...، ويقول: أن أوسا وإن كان رائدا للشماخ في وصف القوس، إلا أن الشماخ أجاد معارضته، وامتاز عليه بما ذكرنا مضافا إليه رمزية الارتجال"[1].

وعلى الرغم من إعاقته _عوره_ فقد كان وصافا، أجاد بشهادة القدماء والمحدثين نعت الحمر الوحشية، قال ابن قتيبة: "وهو من أوصف الشعراء للقوس والحمر"، ثم قال: والشماخ أوصف الشعراء للحمير"، وشهد له بذلك البغدادي في خزانته فقال: "وهو أوصف الناس للحمير"، ثم روى أن الملك بن مروان أنشد شيئا من شعره في وصف الحمير، فقال: "ما أوصفه لها !إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمارا !"[2]، كما عرف عنه أنه كان أشد متونا من لبيد، وأشد كلاما منه أيضا، وكان الشماخ من أغربهم لفظا، ولذلك قلّ الاستشهاد بشعره في كتب الأدب، ولم يهتم به إلا علماء اللغة، إذ وجدوا فيه فيضا من الغريب، والتعبيرات الجاسية، الممنعة في البداوة.

ورغم كل ذلك إلا أنه كان يتدسّس في ضمائرها فينطقها بما تكتم، ويتغلغل في نفسياتها، وما لحظ أن الإسلام لم يؤثر في شعره تأثيرا كبيرا وواسعا، فظل يصور عن ذوق لا يفارق الذوق الجاهلي سوى مفارقة طفيفة.

ونجد من جّل الموضوعات التي قال فيها الشعر وأحسن القول فيها وصفه للناقة، فقد روت المصادر كثيرا من الأبيات في هذا الصدد:

أَتَعْـــرِفُ رَسْمًـــا دَارِسًـــا قَـــدْ تَغَيَّرَا بِذروَةَ أَقْـــوَى بَعْـــدَ لَيْلَـــى وأَقْـفَرَا

كَمَـــا خَـــطَ عِبْرَانِيَـــةً بِيَمِيْنِـــهِ بِتَيْمَـــاءَ حَبْـــرٌ ثُمـــَّ عَرَّضَ أَسْطُرَا.

[1]- صلاح الدين الهادي: الشماخ بن ضرار الذبياني-حياته وشعره-، ص: 302.

[2]- المرجع نفسه، ص: 120.

Confidential

أَقُـــــولُ وقَـــــدْ شَدَّتْ بِرَحْلِـيِّ نَاقَتِـــي ونَهْنَهْـــتُ دَمْـــعَ العَيْـــنِ أَنْ يَتَـــحَدَّرَا

عَلَـــــــى أُمِّ بَيْضَـــــاءَ السَّلاَمُ مُضَاعَفاً عَدِيْـــــدُ الحَصَى مَا بَيْنَ حِمْصٍ وشَيْـزَرَا

وقُلْـــتُ لَهَـــا يَـــا أُمَّ بَيْضَاءَ إِنّـــهُ كَذَلِكَ بَيْنَـــا يُعْرَفُ المَـــرْءُ أُنْكِـــرَا.[1]

وقد بدأ قصيدته باللوحة الطللية، هذا التقليد الفني الراسخ في البنية الثقافية الرمزية للشاعر القديم، لم يكن مجرد عرف فني بل كان صورة للواقع البدوي المتغير،ووسيلة للتأثير في الآخر وجذب انتباهه للمضمون، ولكنه كان أيضا لدى الشماخ صورة تعكس علاقاته الإنسانية المشوهة بمن حوله، ثمّ يعرض مشهد الحبيبة المودعة مكملا هذا المشهد، وليست الوحيدة فكل من حول الشاعر يتحول عنه بازدراء، ابنته وعشيرته، وأصحابه، ووسط هذه الهموم التي ضيقت الخناق على الشاعر، تبرز الناقة مخلصة إياه، فيعيد تشكيل المجتمع من خلالها، بكافة حلقاته كما يحب هو، ويسبغ عليها ما افتقده، بل إنه من خلالها يثبت ذاته، ويجعل الآخر مشغولا بفك شفرته، لتغدو الناقة وسيلة للانتصار على المجتمع الذي تجاهله وتنكر له، فالناقة كانت صورة فنية للمجتمع المثالي الذي ينشده الشاعر، ومعوضا عن العلاقات الإنسانية الهشة مع من حوله، مرتقيا بتلك العلاقة إلى الحيز الإنساني، ومنح المجتمع الجديد من الصفات ما كان يرجوه في مجتمعه المرفوض.

وكان غرض المدح من الأغراض الشعرية التي استعملها الشماخ في قوله للشعر، فنجده قد مدح عرابة بن الأوس الأنصاري رضي الله عنه، فقال:

مَـاذَا يَهْيجُـكَ مِـــنْ ذِكْرِ ابْنـــــةِ الرَّاقِي إِذْ لاَ تَـــزَالُ علَـــى هَـــمٍّ وإشفـــــاق

قَامَـــتْ تُريكَ أَثِيـــــثَ النَبْـــتِ منسَدِلاً مِثْـــــلَ الأَسَـــاوِدِ قَـــدْ مُسِّحْن بالفَاقِ

مَـــــاذا يهِيجُـــكَ لاَ تَسلـــي تَذَكُرَهَـا ولاَ تَجُـــــود بمَوعـــــوُد لِمُشْتَـــــاقِ.

[1]– الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 129-130.

Confidential

هَـــــل تُسْلِيَنَّكَ عَنْهَا لَيْوْمٍ إذْ شَحَطَتْ عَيْرَانـــةُ ذَاتُ إرْقـــــاَلٍ وَإِعْنـــــــاقِ

حَرْفٌ صَمـــــوتُ السُّـــــرى لاَ تَلْفِتُـهَا باللَيـــــلِ فـــــي سِأَدٍ منهَـــا وَ إطْراقِ[1]

وكانت هذه الأبيات في مدح عرابة بن أوس، من بني مالك بن الأوس، وهو صحابي جواد، اتصل به الشماخ ومدحه فأجزل عرابة عطاءه.

كما استخدم الشماخ غرض الهجاء أيضا في مواطن عديدة من قصائده، فنجده قد هجا الربيع بن علياء السلمى فقال:

طَالَ عَلَـــى الثَـــوَاءُ علَـى رَسْمٍ بيَمْئـــودِ أَودَى وَكُـــلُ خَليـــلٍ مـــرة مُـــودِى

دَارُ الفَتَـــاةِ التـــي كنّـــا نَقوُلُ لهَـــا يَـــا ظَبْيَـــةً عُطَـــلاً حُسَّـــانَةَ الجِيـــدِ

كَـــأَنَّها وَ ابـــنَ أَيَّـــامٍ تُرَبِّبُـــهُ مـــن قُـــرَةِ العَيْـــنِ مُجْتَـــابًادَيابودِ

تُدْنـــىَ الحَمَـــامةُ منهَـــا وهـــي لاَهِيةٌ مـــنْ يَـــانِعِ المَرْدقِنـــوَانِ العَنـــاَقِيدِ

هَـــلْ تبلغِنـــي دِيـــاَرَ الحَـــىّ ذِعْلِبَةٌ قَـــوْدَاء فـــي نُجُـــبٍ أَمْثَالُهـــاَ قُـــودِ[2].

وقد هجا الشماخ الربيع بن علياء بسبب خصومة كانت بينهما، وذاك من أجل امرأة الشماخ، وقد سلف وأن هجاه هو آلفا، فمكان من الشماخ إلا أن يردها عليه.

[1]- الشماخ: ديوانه، تح: صلاح الدين الهادي، ص: 253-254.

[2]- الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 111-113.

Confidential

Confidential

المبحث الثاني: مضمون قصيدة الشماخ بن ضرار.

1-القصيدة:

"الزائية"*

1-عفَا بطْـنُ قوَ مـــن سُلَيْمَـى فَعَالِـــزُ فذاتُ الغَضَـا فالمشْرِفَـاتُ النَّواشِـــزُ

2_ فكـــلُّ خَلِيلٍ غيرُ هَاضِـــمِ نَفْسِـــــهِ لوَصْلِ خَلِيـــلٍ صَـــــارِمُ أو مُعَـــــــارِزُ

3- ومَرتَبَـــةٍ لا يُسْتَقَـــالُ بهـــــا الرَّدَى تَلاَقى بهـا حِلمِـي عن الجَهْلِ حَاجِـــزُ

4- وعَوْجـاءَ مِجْذَامٍ وأَمْـــــرِ صَرِيمَـــــةٍ تَركـــتُ بهـــا الشكَّ الذي هو عَاجِـــزُ

5- كـــأنَّ قُتُودى فوق جَـــأْبٍ مُطَـــرَّدٍ من الحُقْـــبِ لاحَتْـــهُ الجِدَادُ الغَـــوَارِزُ

6- طَوَى ظِمْأَهَا فـــي بَيْضَةِ القَيْظِ بعدمـا جَرتْ فـــي عِنَانِ الشِّعْرِيَيـــنِ الأَماعِـــزُ

7- فظَلَّـــتْ بِيَمْئودِ كـــأنَّ عُيونـــهَا إلى الشَّمسِ-هل تَدْنُـو-رُكِيُ نَواكِـــزُ

8- لهُـــنَّ صَلِيـــلُ يَنْتَظِـــرْنَ فَضَـــاءَهُ بِضَاحِـــي عَذَاةٍ أَمْرَهُ وهـــو ضَامِـــزُ

9- فلمـــا رَأَيْنَ الوِرْدَ منـــه صَرِيمَـــــةً مَضَـــيْنَ ولا قـــاهُنَّ خـــلٌّ مُجَـــاوزُ

10- ولمـــــا رأى الإظْلَامَ بَـــادَرَهُ بهـــا كمـــا بَادَرَ الخَصْمُ اللّجُوجُ المُحَافـــزُ

11- ويمّمَهـَا مـــن بطْـنِ ذَرْوَة رُمَّـــةً ومن دُونِهَـــا من رَحْرَحَـــانَ مَفَـــــاوِزُ

12- عليها الدُّجى مُسْتَنْشَـــآتٍ كأنّهـــا هَوَادِجُ مَشْـدُودُ عليهـــا الجَزَاجـــــزُ

13- تَفَادي إذَا اسْتَذْكَى عليهـــا وتَتَّقِـــي كما تَتَّقِي الفَحْلَ المَخَاضُ الجَوَامِـــزُ

* عالز: موضع، عوجاء، مجذام: ناقة ضامرة سريعة، الحقب: جمع أحقب وهو الحمار الأبيض، الغوارز: التي قلّ لبنها، الصنامز: الذي لا يتحرك، المجاوز: النافذ إلى غيره، حائز: موضع باليمامة، الدجى: جمع دجيّة وهي بيت الصائد، ذو الأرائك والقنتين اللواهز: مواضع، القرام الرجائز: الهوادج المزينة، ذو الأرائك: موضع العضاة: شجر له شوك، مشارز: شرس، معظها: تركها في الماء، المهامز: ما همزت به الدابة، الحائر من الإبلّ، الخال: ثياب تصنع باليمن، خزاز: غيص وحزن، النواقز: قوائم الضبي، الكوائز: النساء التي يكتنزن العطر، السرد: الخرز، النواشز: الارتفاع، الكوارز: مائلات، الصيداء: الحصى، العشاوز، موضع صلب مسلكه، النحائز، ثياب مخططة، المجاوز: الطرق، المناهز: المبادر، النشز: المكان المرتفع.

14- ومرَّتْ بأَعْلَـى ذي الأرَاكِ عَشِيَّـةً فصدَّتْ وقـد كَـادَت بشَرْجٍ تُجَـاوِزُ

15- وهَمَّـتْ بوِرْدِ القُنَّتَيْنِ فَصدَّهـا حَوَامَـى الكُراع والقِنـانُ اللَّوَاهِـزُ

16- وصَدَّتْ صُدُودَا عـن ذَريعَةِ عَثْلبِ ولا بنَـى غمارٍ فـي الصُّدُورِ حَزَائـزُ

17- ولو ثَقفَاها ضُرِّجَتْ مـن دِمَائِهـا كمـا جُلِّلَتْ فيهـا القِرامَ الرَّجائِـزُ

18- وحَلأَّهَـا عـن ذِي الأرَاكَـةِ عَامِـرِ أخُو الخُضْرِ يَرمِي حيثُ تشْوَى النَّوَاحِزُ

19- قَليلُ التِّلادِ غيـر قَوس وأَسْهُـمٍ كـأنَّ الذي يرْمـى مـن الوحشِ تَـارِزُ

20- مُطِلاً بِزُرْقِ مـا يُدَاوَى رَميُّهـا وصَـفراءَ مـن نَبعٍ عليهـا الجَلائِـزُ

21- تَخَيَّرهـا القَوَّاسُ من فرْعِ ضالـة لهـا شَذْبُ مـن دونهـا وحَوَاجِـزُ

22- نَمتْ في مكانٍ كَنَّهـا واستوت به فمـا دُونَهـا مـن غِيلِهَـا مُتَلاَحِـزُ

23- فما زَالَ يَنْجُو كلَّ رطْبٍ ويابِـسٍ ويَنْغـلُّ حتـى نَالَهـا وهـو بَـارِزُ

24- فأنحَـى إلَيهـا ذَاتَ حَـدٍّ غُرَابُهـا عَـدوٍّ لأوْسَـاطِ العِضَـاهِ مُشَـارِزُ

25- فلمَّا اطمأَنتْ في يديـه رأى غِنىً أحَـاط بـه وازْوَرَّ عمَّـنْ يُحَـاوِزُ

26- فمظَّعَهـا عَـامَيْنِ مـاءَ لِحَائِهَـا ويَنْظُـر منهـا أيَّهـا هـو غَامِـزُ

27- أقـامَ الثِّقـافُ والطَّريـدَةُ دَأرَهَـا كمـا قَوَّمَـتْ ضِغْنَ الشمُوسِ المَهَامِـزُ

28- فوافـى بهـا أَهْلَ المَوَاسِمِ فانْبَرَى لهـا بَيِّعُ يُغْلـى بهـا السَّومَ رَائِـزُ

29- فقـال لـه: هل تَشْتَريهَـا فإنَّهَـا تُبَـاعُ بمـا بيـعَ التِّلاَدُ الحَرَائِـزُ

30- فقـال: إزَارُ شَـرْعَبِـىُ وأَرْبَـعُ مـن السِّـيرَاء أو أوَاقٍ نَوَاحِـزُ

31- ثَمـانٍ من الكيرِى حُمْرٌ كأَنَّهـا مـن الجَمْـرِ مـا ذكَّى على النَّارِ خَابِـزُ

32- وبُرْدَانِ من خَالٍ وتسعون دِرْهَمـاً ومَـعْ ذَاكَ مَقْروظٌ مـن الجلـد مَاعِـزُ

33- فظلَّ يُنَاجِي نَفْسَـه وأمِيرَهـا أيأتـي الذي يُعْطَـى بهـا أمْ يُجَـاوِزُ؟

34- فقالوا له: بَايعْ أَخاكَ ولا يكـن لك اليـوم عـن ربْحٍ من البَيْعِ لاَهِـزُ

35- فلما شَرَاهَا فاضَتْ العَيْنُ عَبْـرةً وفي الصـدر حُزَّازٌ مـن الوجْدِ حَامِـزُ

Confidential

Confidential

36- وذاق فأَعْطَتْهُ من اللِّينِ جَانِباً كَفَى، ولها أن يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

37- إذا أَنْبَضَ الرَّامون عنها ترَنّمتْ تَرَنُّمَ ثَكْلى أوجَعْتَهَا الجَنَائِزُ

38- قَذُوفٌ إذا ما خالط الظَّبي سهمها وإن ريغَ منها أَسلَمتْهُ النَّوَاقِزُ

39- كأنَّ عَليها زَعْفَراناً تُميرُه خَوَازِنُ عَطّارٍ يَمَان كوَانِزُ

40- إذَا سَقَط الأنْدَاء صِينَت وأُكْرِمَت حَبيراً ولم تُدرَج عليها المَعَاوِزُ

41- فلمَّا رأَيْن المَاءَ قد حال دُونَه زُعَاف لدى جنْبِ الشَّريعةِ كَارِزُ

42- شَكَكْنَ بأَحْسَاء الذِّنَابَ على كما تَابَعَتْ سَرْدَ العِنَانِ الخَوَارزُ

43- ولمَّا اْسْتَغَاثَتْ والهَوَادي عُيونَهَا من الرُّهْبِ قبل والنّفُوسُ نَواشِزُ

44- فَأَلْقَتْ بأَيْدِيهَا وخَاضَتْ صُدورَها وهُنَّ إلى وَحْشِيِّهنّ كَوَارِزُ

45- هِلْنَ بِمُدّاَن من المَاء مَوهِناً على عجَلٍ وللفَريصِ هَزَاهِزُ

46- غَدَون لهُ صُعْر الخُدود كما غَدَتْ على ماء يَمئودَ الدِّلاَءُ النَّوَاهِزُ

47- يُحَشْرِجُهَا طوراً وطَوراً كأَنما لها بالرُغَامى والخَيَاشيمِ جَتارِزُ

48- ولمّاَ دَعاها من أَبَاطِحِ واسِطٍ دوائرُ لم تُضْرَبْ عليها الجَرَامِزُ

49- حَذَاها من الصَّيداءِ نعلاً طِرَاقُها حَوَامى الكُرّاعِ المؤيِدَات العَشَاوِزُ

50- فأَقْبَلَها نجادَ قوَّيْن وانْتَحَت بها طُرْقٌ كأنهَّنَ نحَائِزُ

51- حَدَاها بِرَجْعٍ من نُهاق كأنه بما ردَّ لَحْياه إلى الجَوف رَاجِزُ

52- فَأوردَهُنَّ المَورَ مَورَ حَمَامة على كلِّ إجريّائها هو رَائِزُ

53- يكلَّفها طَوراً مَدَاهُ إذا التوى به الوِرْدُ واعوجت عليه المَجَاوِزُ

54-مُحَام على عَوْرَاتِها لا يَرُوعها خَيالٌ ولا رامي الوحُوش المنَاهِزُ

55- فأَصْبَحَ فوق النَّشْزِ نشْزِ حَمَامَةٍ له مركضٌ في مُسْتَوى الأرضِ بَارِزُ

56- وظلَّت تـفإلى باليفـاعِ كأنّهـــــا رِمَــاحٌ نَحَاهــا وجهَـــة الرِيحِ راكـــزُ[1]

2-محتوى القصيدة:

كان الشماخ بن ضرار ولا يزال من الشعراء الجاهليين، الذين رسموا صورة غير اعتيادية للقوس، من خلال ما أبدعوه من أشعار، وتعد زائية الشماخ من أشهر القصائد حول هذا الموضوع، فهي قصيدة نافرة ذات لغة وعرة كزّة، تروض قافية شموسا معبرة بذلك عن حالة الإنسان العربي، وما يقاسيه من واقع مكافح، كما كان"القوس مادة تلك القصة القصية المحزنة، التي أفعمت بمعان وحكم، تجاوزت بها قرنا إلى ما بعد خمسة عشر قرنا، لتحيا من جديد، ذلك إن المعان والحكم لا تموت بموت من رفع عنها الغطاء، بل هي كائنة كامنة في نسيج النفس، والكون جميعا"[2].

فقد استعمل الشماخ القوس وسيلة للحزن والأسى، ورمزا للفقدان والتأسي، وعلامة على الوفاء والولاء، التي كانت في بدايتها ترمز إلى العادات والأعراف وللقوة والتطارد، كما كانت آلة للصيد والموت، وهذه هي العبقرية التي فتح بابها الشماخ من خلال ما أدرجه في قصيدته، وقد بدأ الشاعر بالبكاء على أطلال سلمى التي عفا عليها الزمن في مكانها، المستقر بين المشرفات النواشز بقوله:

عَفَـــا بَطْـــنُ قَـوٍّ مِنْ سُلَيْمَـــى فعالـــــزُ فَـــذَاتُ الغَضَـــا المُشْرِفَـــاتُ النَوَاشِـزُ[3].

وقصة"القوس تبدأ بعد أن خرج القواس الشاعر، فبكى الأطلال العافية، ثم عرّج على الغاب يريد ما يريده طالبا الصيد، يقتات به، غذاء أو بيعا، فلاقى جمعا من الوحش يطلب عين للماء يرتوي

[1]- الشماخ بن ضرار الذبياني: ديوانه، تح: صلاح الدين الهادي، ص: 173-201.

[2]- طارق عبد الحليم: دراسة مقارنة في الشعر العربي...القوس العذراء مثالا(مقالة)، 26ديسمبر2017م، 08ربيع الثاني، 1439هـ، ص: 04.

[3]- الشماخ بن ضرار الذبياني: ديوانه، تح: صلاح الدين الهادي، ص: 173.

Confidential

منها، لكن ما أن لمحت الوحش عين ذلك الرامي الماهر تترصدها جفلت وفرّت من طريقه مؤثرة أن تعاني العطش على أن تعاني الموت من سهامه"[1].

فهذه القوس هي قوس صياد صغير، تضمن له ولأسرته الرزق، والعيش الرغيد وقبل هذا كانت عبارة عن غصن في شجرة من شجر الضال، فصابر تلك القطعة الفريدة، مدة عامين، نعم حولين كاملين، أعطاها من حياته متطوعا، يعمل في تسويتها كما يجب أن تسوى القوس، فيقيم معوجها ويحنى مسار طولها، ويسقيها ماء اللحى حتى تشتد به، كما يشتد الربيع من لبن أمه، فقال واصفا هذه الحالة:

فَمَظَعَهـــا عَامَيْـــنِ مَـــــاءَ لِحَائِهَـــا وَيَنْظُـــرُ مِنْهَـــا: أَيُهَـــــا هو غَـــامِزُ

أَقَـــــامَ الثقَـــــاف وَالطَرِيـــدَة دَأْرَهَـــــا كمـــــا قَوَّمَت ضَغْنَ الشَّموس المَهَـــامِزُ[2]

وهذا ما يصفه الدكتور محمود محمد شاكر في قصيدته "القوس العذراء"فاستوحى منها قصته فعبر عنها بقوله: "إنها قوس صياد فقير مدقع تكفل له ولأسرته الرزق، وقد كانت قبل ذلك غصنا في شجرة من شجر الضال الطيب الرائحة، تفرقت أغصانها وتهدلت، وأحاط بها شجر كثيف وحواجز شتّى، فاحتجبت عن العيون، ولكن القوّاس ظل يرقب هذا الغصن زمنا حتّى إذا طال وتم وغدا صالحا ليكون قوسا نهض إليه يرتقي الجبل، ويتخذ له فيه مسربا فيقطع كل ما يسدّه عليه من رطب ويابس، فلما صار في يديه ابتهج واطمأن وأحس أن الغنى أحاط به من كل صوب، وخامرته نشوة الظفر فازورّ معرضا عن خلطائه وأصحابه، ثّم قفل بهذا الغصن، فعرّضه للشمس حولين كاملين، فلما تصرّم الحولان كاملين أدخله في آلة الثقّاب فثقّفه وسوّاه، ويراه من الاعوجاج"[3]، وقد جسد الشماخ هذه الجزئية في قوله":

---

[1]- طارق عبد الحليم: دراسة مقارنة في الشعر العربي...القوس العذراء مثالا(مقالة)، ص: 05.

[2]- الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 185.

3- وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعارف، (د.ط)، 1416هـ- 1996م، ص: 337-338.

Confidential

تَخَيَّرَهَــا القَـــوَاس مِـــنْ فَرْعٍ ضَالَــةٍ لَهَـــا شَذْبُ مِـــنْ دُونِهَــا وحَــوَاجِزُ[1].

يعبر الشاعر عن مدى قوة القوس وحدّة صوت السهم أثناء استهدافه للطريدة،وهذا ما يوّلد الخوف والفزع في نفسها، مما جعله مفتخرا بقوسه، "وذاق هذا القواس قوسه يختبرها شدة ولينا، فكانت نعم القوس فيهما جميعا فزاد رضا، واطمئنانا، وتضاعف الزهو والاعتزاز في نفسه، فإذا أصاب سهمها ظبيا مات مكانه، وإذا سمع صوتها الشّجي كصوت الثكلى امتلأ ذعرا فخذلته قوائمه، فلم يستطع الفرار"[2].

فقد منّى الله على هذا القواس خيرا، بأن رزقه عطاء لم يكن يتصوره، بينما يترصد طريدته، إذ يلمح بطرف عينه ما أغناه عن تلك الطريدة المهمة، فقد رأى غصنا قويا صلبا، متخفيا عن أعين الكل، فتلك هي القوس الفريدة التي كان يبحث عنها ويسعى إليها، فقد مثّل ذلك في قوله:

فمَـــازَالَ يَنْجُو كـــلّ رَطْـــبٍ ويَـــــابِسٍ وَيَنْغَـــلُ حَتَـــى نَالَهَـــا وهو بَـــارِزُ[3].

وكان هذا القواس قد اختار هذا الغصن وهو على يقين أن هذا الاختبار هو في حد عينه مسؤولية، ومبدأ، وقد كرس الشاعر نفسه الحفاظ عليه، والقيام بواجبه على أكمل وجه، مسلحا بالإرادة والتصميم والقوة معبدا طريقا للوصول إليها، مكابدا الصعاب، فلا يصح أن يكون رمزا للاهتداء الإنسان لمبدئه، فتستقر نفسه،وتطمئن، وتسعى إلى خوض دروبها في الحياة، والنضال من أجل تحقيق ما ترموا إليه، وهذا ما جاء في قول الشاعر:

تَخَيَّـــرهَا القَـــوس مـــن فَرْعِ ضَالَـــةٍ لَهَـــا شَذب مـــن دُونِهَـــا وَحَواَجِـــزُ

نَمَـــتْ فـــي مَكَـــان كَنّهَـــا فاسْتَوَت بـه فَمَـــا دونِهـــا مـــن غيلهَـــا مُتَلاَحـــزُ

---

[1]– الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 184.

[2]– وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، ص: 342.

[3]– الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 184.

Confidential

فأنْحَـــى عَلَيْهَـــا ذات حـــــدّ غُرابُهـــا عَـدوّ لأوسَـــاط العضـــاه مُشـــــاَوِزُ

فلَمـــــا اطمأنـــــت فـــي يَدَيْهِ رَأى غنى أَحَـــــاطَ بـــــه وازوَّرَ عَمَّـــنْ يُحَـــــاوِزُ[1]

وما إن استقرت هذه الأخيرة في يد القواس، وتحسس ما فيها من خير، ومن صلابة، وجأش، حتى تيقن أنه حصل على مراده، وما كان يحلم به، فهي تستحق كل العناء والتعب، والمكابدة،وفي "ضوء هذه الهداية، وظل هذا الاطمئنان والغنى مضى القواس يعنى بقوسه فيحسن العناية، وقد قلت من قبل: إنّ الأعمال تروز المبادئ وتنقحها، وتضيف إليها، بعبارة أخرى: إنّ العمل يمتحن النظرية ويصحح ما قد يكون فيها من عيب، أو قصور تماما كما فعل هذا القواس بقوسه"[2]،خرج بها إلى السوق، يريد أن يرى ما يأتي به القدر من شارٍ لها، وهو مصمم على ألا يبيعها بثمن بخس دراهم معدودة، فهو ليس فيها زاهد، ولا مفرّط، لكنها الحاجة، لعنها الله، دفعته أن يبذل جزءا من حياته ليحفظ على نفسه جزءا آخر منها، فهو بعد جهد عسير يحاول بكل قوته أن يحفظ هذا الكنز الغالي الذي لا يعوض بثمن،"فلم يزل هذا شأنه وشأنها يرعاها، ويصونها ويزداد بها فتنة حتى أهلّ موسم الحج، فكان بصحبتها فيمن أمّ السوق من النّاس، فعرض له رجل خبير بالقئاس، فمد يده إليها فرازها فعرف حسنها وكمالها، فطفق يساومه، ويغلي بها الثمن، وينوّعه، فهو ثياب من أجود الثياب وأغلاها، وأواق من الذهب، الخالص الأحمر المتوهج كالجمر، ودراهمّ مدورة "كعيون الجراد"، وجلد مدبوغ بالقرظ من جلود المعزى الغالية، فنازعته والتوت عليه، وأغراه الثمن، وأبى عليه العقل واستعصى، فغرق في لجة الحيرة يراجع نفسه ويشاورها"[3]، حيث قال:

قَـوافَـــي بِهَـــا أَهْـلُ المَـوَاســـمِ فانْبَـــرَى لَهـــاَ بيـــعَ يَغلـــي بِهَـــا السُوم رَائـــزُ[4].

ويقول أيضا معبرا عن حالة الرضا والاعتزاز:

---

[1]- الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 184-185.

[2]- وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، ص: 342.

[3]- المرجع نفسه، ص: 338.

[4]- الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 187.

Confidential

إذاَ أَنْبَـــضَ الرَامُـــــونَ عَنْهَـا تَرَنَّمَـــتْ تَرَنُّـــمَ ثَكْلَـــــى أَوْجَعَتْهَـــــا الجَنَائِـــزُ

قَذُوفٌ إِذَا مَـــا خَالَـــــطَ الظَّبْيُ سَهْمَهَا وإِنْ رِيْـــــعَ مِنْهَـــــا أَسْلَمَتْـــهُ النَوَاقِـــزُ[1]

لقد جسدت هذه الأبيات الألم والمعاناة التي تقاسيها الأم عند فقدانها أحد أبنائها، فتحولت مشاعر الاطمئنان والرضا إلى خوف وفزع، فقد "عبثت مشاعر الثكل بهذا السياق من الرضا والاطمئنان والحبور والاعتزاز، فخلخلته وغيرت من مذاقه ولونه، وسرت فيه فأعاقت حركته ونموه، فخار في مكانه لا يريم! إنه كظبي نافر في هذه الصحراء تملأ أعطافه الحياة، أصابه سهم فصرعه، أو انقذف في قلبه رعب قاتل، قيّده الموت أو الخوف لا فرق، فقد تحولت القوس إلى امرأة مفجوعة بابنها فهي تنوح عليه ترنّم ثكلى، فهل هي صورة مبكرة تنبأ بفجيعة بيع القوس وحزن القواس وندمه، ولوعته؟ لقد خدع الذهب، والمال وزخارف الحياة القواس، فتخلى عن قوسه، وكانت سقطته الفاجعة، كما يخدع المال وزخارف الحياة صاحب القيم والمبادئ، فيتخلى عن قيمه ومبادئه"[2].

إننا جميعا نعشق المبادئ، والقيم النبيلة، وتتغنى بها، ولكن الذين يقوون على التضحية في سبيلها، ودفع ضرائبها قلائل، إن النفس لأمارة بالسوء، وإن ثار الإغراء المتوهجة كجمر الذّهب، تذيب معادن النفوس، إلا ما قلّ منها أو تذر فتوجه صاحبنا إلى السوق،"فتحلق حوله الناس يوسوسون له ويرققون القول، ويحضونه على البيع، فالثمن غال والربح كبير، والخطأ كل الخطأ أن يفرط فقير بكل هذا الربح، ولم تزل النفس تخادعه وبريق الذهب يغريه، وتفتنها الثياب والجلود والمال، وتضلله وسوسة القول حتى سكت صوت العقل وغاب فباعها!! فلما فارقته فاضت العين عبرة، ونهض في صدره شوك الندم والحسرة"[3]، فهذه العيون المترصدة، تلمح نبل الأشياء وقدرها، فلم تتوانى في السعي وراء هذا الكنز، وعرض عليه صفقة خيالية، لم يستطع المسكين مجابهة هذا الإغراء، فصار

[1]- الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 191-192.

[2]- وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، ص: 343 .

[3]- المرجع نفسه،ص: 338.

Confidential

يراجع نفسه، يستشيرها، ويدور بين عقله وقلبه، وبين حاجته للمال ووفائه لصنعته، وهذا ما عبّر عنه بقوله:

فقَالَ لَهُ: هَـــلْ تَشْتَريـــهَـــا؟فإنَّهَـــا تُبَـــاع بهَـا بيـــع التَّلاَدُ الحَرَائِـــزُ

فَقَـــالَ: إزَارٌ شَرْعـــي وأرْبَـــعُ مـــن السَّيْـــرَاء أو أَوَاق نَـــوَاحِـــزُ

ثَمَـــان مـــن الكِرِىّ حُمْـــرٌ كَأَنّهـــَا مـــن الجَمْرِ مَـا ذَكّى على النَّار خَابِـزُ

وبـُرْدَان مـــن خَـالٍ وتِسْعُونَ دِرْهَمًـا ومَـعَ ذَاك مَقْـروضٌ مـن الجِلْدِ مَاعِـزُ[1].

فهذه هي قصة تاجر ماكر خبيث، لديه القدرة على تغيير النفوس البشرية والتغلل فيها، وإثارتها، فيستعرض أمامها مواطن الفتنة والإغراء حتى تنقاد له فيفصل في ثمنه كيفما يشاء، ولكن وظيفته الأساسية هي ترويض نفس القواس، وكسر صلابتها الروحية، للحصول على هذه القوس في جوف البيع، أو انطمرت تحت الثياب والجلد، والذهب والمال، كما يغيب المبدأ ويتبدد في جوف خيانة معتنقيه له، فاندلعت في داخله تار الحسرة والندم، فيقول الشاعر معبرا عن حالة القواس:

فَظَّلَ يُنَـــــاجِـــي نَفْسَـــهُ وَأَمـيرهَـــا أَيـــأْتِـــي الذي يُعطِـي بِهـا أمْ يُحـــاوِزُ

فَقَـــالـوا لـــــه: بَايِـــعْ أَخَـاكَ ولاَيَكـُنْ لَكَ اليَوْمَ عـــــنْ ربْحِ مـــن البيع لاَهِـــزُ

فلَمَـــا شَرَاهـــاَ فَاضـــــتْ العيْنُ عَبْـرةً وفـــي الصَـــدر حزَّاز من الوجد حَـامِزُ.[2]

فهنا يكشف لنا الشماخ عن الفجيعة، التي ألمت بهذا القواس، فمن جهة ربح بعض هذا العالم، أو رموزه، من ذهب ومال ...وغيرها، ولكن في المقابل خسر مبدأه وقيمه، وبهذا قد خسر كل شيء ومعها نفسه، ففاضت العين معه سنوات، وقد ضاع منه في لحظة غفلة، كما عاب الشاعر على

[1] – الشماخ: ديوانه، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 187.

[2] – المرجع نفسه، ص: 187.

Confidential

Confidential

الناس مشاركتهم في تضليل القواس،"ولم يكن ظن الشماخ بالناس حسنا فيما يبدو، فقد انضموا إلى صف التاجر والمال واشتركوا في تضليل القواس حتى انقاد إلى مأساته الفاجعة، ولو كانت القضية قضية عمل فحسب لكان من حق هذا القواس أن يكسب بعمله مالا يسد به مفاقره دون ندم ولوعة، ولكنها قضية علاقة وجدانية حميمة بين المبدأ وحامله أو بين الهدف السامي وصاحبه، فإذا انهارت لم يعوضها مال وثياب، ولم يردّها بكاء وحسرة وندم"[1]، وما على ذلك كله تغلبت الحاجة على الوفاء، والعوز على الانتماء فباعها، وما إن استقرت في يد الشّاري، ضاقت به نفسه، وبلغ من اليأس والحزن مبلغا، لايعلمه إلا من فقد الأحبة الأقربين.

وهذه هي قصة القوس مع صاحبنا الشّماخ، بسيطة سهلة، لكنها عميقة ممتنعة، فلا يستخرج دررها الكامنة، إلا الراسخ في كنف العلم، وعوالم الإبداع الفني، فهي قضية إنسان يحلم بتحقيق ذاته، فيسعى وراء هذا الهدف، وفي سبيل الوصول إليه، يخوض صراعا قاسيا، داخليا حينا، وخارجيا حينا آخر، فكانت قوس الشماخ رمزا لمبدأ، وهدف سامٍ في الحياة، أي للقيم التي إذا انبرى منها الإنسان انحط إلى درك الحيوان الأعجم.

[1]- وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، ص: 345.

Confidential

المبحث الثالث: دراسة وتحليل زائية الشماخ بن ضرار.

1-دراسة القصيدة:

أ- المستوى الإيقاعي:

لقد غلب المستوى الصوتي في النّص إذ أنّ القصيدة تبنى عليه، والوزن يعتبر من أهم قواعد الشّعر، فالشّعر في حقيقته للعواطف و الإحساس وليس للوزن والإبداع فقط.

كما أنّ الوزن يمنح القصيدة اتساقا وانسجاما، ويزيد اللغة قوة وثباتا لأنّه "يتشكل من سلسلة من حدوثات سمعية ذات آماد وتناغمات وارتفاعات متساوية"[1]، ويعتبر الوزن عنصرا فاعلا في القصيدة يشكل نغمات موسيقية منظمة في النّص الشعري لأنّ"الهندسات الصوتية المميزة هي في كل اللغات حصيلة عدد بسيط من التنسيقات المتواترة التي تتنوع بوضوح على المفاصل الكبرى للوزن، من هنا يحدث الوزن"[2]، وهذا يبيّن أنّ الوزن يخلق نوعا من التواتر داخل القصيدة ولا تتحقق الهندسة الصوتية داخل القصيدة إلا بتوفر شرطين أساسين هما: الانسجام والتخالف.

وإنّ المتأمل في مفهوم الإيقاع يجد أنّه يشمل جميع الأشياء المتحركة من حولنا، فكل شيء يسير وفق نظام إيقاعي، أمّا الإيقاع الشعري فقد أعدّه ابن منظور"من إيقاع اللحن، وهو أن يوّقع الألحان ويبينها"[3]، والإيقاع مرتبط بمفردات كثيرة من أهمها الوزن والقافية الصوت الذي يتواجد في روح النّص الشّعري فبعض الباحثين عدّ الإيقاع الشّعري "ظاهرة صوتية في جوهرها والوزن أحد عنواناتها ويفسر ذلك غياب مصطلح الإيقاع من علم العروض ونيابة مصطلح الوزن عنه في الدلالة

---

[1]- فاضل ثامر: الصوت الآخر(الجوهر الحواري للخطاب الأدبي)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (ط.1)، 1992م، ص: 289.

[2]-جوزيف ميشال شريم: دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1984م، ص: 95.

[3]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)،ج/15، ص: 373.

على موسيقى الشّعر"[1]، وكما ذكرنا سالفا الهندسة لا تتحقق إلا بعنصرين مهمين الانسجام والتخالف لأنّ الوزن لغة: "تنظيم وتنسيق، يقوم على التشابه والمغايرة، خلقا للفجوة: مسافة التوتر على صعيد واضح"[2].

ولبناء نص شّعري وموسيقى وإيقاع خارجي متكامل يجب أن تتعانق القافية مع الوزن لأنّهما يحققان توافقا صوتيا بين الكلمات والأجزاء، وتتشكل القافية في النّص الشعري بسبب الموقف النّفسي الذي يعيشه الشاعر، فنفسيته لها دور كبير في إبراز القافية مما يساعد على ضبط الإيقاع، ويجعل السامع يتوقع تكرارها في كل بيت شعري وهذا يعين"على إعطاء قيمة صوتية تضاف إلى ما تقوم به التفعيلات"[3]، وللدخول والغوص داخل النّص الشّعري يجب أن"يتكاثف ويتخذ الإيقاع الداخلي مع الإيقاع العروضي(الوزن والقافية)، من أجل معرفة مضامينه وخباياه والكشف عن حروفه وكلماته وحركتها بوصفهما مؤثرات إيقاعية تساعد على تعزيز قيمة الإيقاع داخل النّص ولتترك بصمة على قيمته الدلالية، لأنّه يمكن فصل موسيقى الكلمة عن مدلولها"[4].

ويقول ابن رشيق: "سميت القافية قافية لأنّها تقفوا أثر كل بيت"[5]، لذلك لا يمكن للشاعر أن يكتب شعرا إلا بتوفر القافية لأنّها عنصر أساسي في النص الشعري، وهذا الأخير بدوره يعتبر القافية جزءا من أجزاء النّص الشعري ومكونا أساسيا للإيقاع العروضي.

---

[1]- محمد هادي الطرابلسي: في مفهوم الإيقاع، حوليات الجامعة التونسية، عدد: 32، 1991م، ص: 14.

[2]-كمال أبو ديب: في الشّعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، (ط.1)، ص: 89.

[3]-مرشد الزبيدي: بناء القصيدة في النقد العربي القديم والمعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (ط.1)، 1994م، ص: 41.

[4]- ينظر: عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1963م، ص: 88.

[5]- ابن الرشيق القيرواني أبو علي الحسن (ت463هـ): العمدة في نقد الشعر، شرح وضبط: عنيف حاطوم، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.2)، 2006م، ص: 107.

Confidential

Confidential

✓ **الإيقاع الخارجي:**

كتبت قصيدة الزائية للشّماخ بن ضرار على البحر الطويل: (طويـل لهدونالبحـور فضائـل، فعولـن مفاعيلـن فعولـن مفاعلـن).

الطويل لغة: هو ضد القصير، واصطلاحا: من الشعر المبني من الأوزان"فعولن مفاعيلن"، أربع مرات[1]، فهو أطول البحور الشّعرية وكما هو معروف أنّ الطويل أبياته الأوتاد والأسباب ولأنّ"الوتد أطول من السبب سمي طويلا"[2]، ويتميز الطويل بامتداده وصلاحيته للنّفس الطويل، الذّي يعطي للشاعر المجال في التعبير عن تجربته، وقد استخدم في الزائية ، وذلك لانسجامه مع العناء وطول المدّة الزّمنية، التي كانت فقط حديثا عن صنع القوس منذ أن كان غصنا في الشّجرة إلى أن أصبح أداة حربية.

لقد احتّل البحر الطويل يحتل نسبة 80%من الاستخدام في الشعر العربي القديم لأنّه "يتيح للشّاعر التواصل والاسترسال في سرد الحدث..."[3]ولما له من قدرات وزنية وذلك لا يحدث فيه على مستوى الزّحافات والعلل لبناء السّرد فهو في هذه القصيدة الفصل لنا قصة القوس من بدايته إلى أن أصبح قوسا بيد رام.

كما أن الشّاعر اعتمد في زائيته على قافية زائية، وقد أطلق عليه العروضيون تسمية قافية الحوش، وهي نوع من أنواع قافية المتراكب كما أبدع الشّماخ في هذه القصيدة ونجح في استخدام هذه القافية، لأنّ القافية تعتبر أهم عنصر فعال في النّص الشّعري فهي تثرى دور ها الصوتي في النّص.

[1]- محمد الدمنهوري: المختصر الشافي على المتن الكافي، تصوير دار المعرفة، المغرب، (د.ط)، (د.ت)، ص: 10.

[2]- الخطيب التبريزي(ت741هـ): الكافي في العروض والقوافي، تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1982م، ص: 37.

[3]- ينظر: صفاء خلوصي: فن التقطيع الشّعري والقافية، مطابع دار الكتب، بيروت، لبنان، (ط.4)، 1974م، ص: 43-44.

يرى شوبنهور "أنّه من الضروري أنّ تتوقف العلاقة بين الفكرة والقافية وأن ترتبطها باطنيا"[1]، والقافية تعطي طاقة وشحنة إيجابية للنّص الشعري وتكون وظيفتها قائمة على أساس"الصوت صدى للمعنى"[2]، ويتحكم في ذلك الشّاعر المتميز والمبدع وهذا ما ميّز إيقاع زائية الشّماخ فقد كان حرفها الروي هو حرف الزاي وهذا دلالة على الصوت الذي يصدره السّهم المقذوف من القوس لأنّ"الزّاي صوت رخو مجهور للنّطق به يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيتحرك الوتران الصوتيان ثمّ يتخذ مجراه من الفم حتى يصل إلى المخرج"[3].

✓ **الإيقاع الداخلي:**

تشمل الدّراسة في هذا المستوى على التكرار الحرفي، ضمن الموسيقى الداخلية فالتكرار الحرفي"هو تكوين تجمعات صوتية متماثلة أو متجانسة، وهذه التجمعات إنّما هي تكرار لبعض الأحرف التي تتوزع في كمامات البيت"[4].

قال الشّماخ:

وَحَلأَهَا عَـنْ ذِي الأَرَاكَـــــــه، عَامِـــرُ أَخُـــو الخُضْرِ يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاحِزُ[5].

تكرر صوت الهمزة ثلاث مرات وهذا التكرار ساهم في تعزيز دلالتها من خلال السياق فإنّ صوت الهمزة في هذا البيت يدّل على المفاجأة.

[1]– عبدالرحمان بدوي: في الشّعر المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (ط.2)، 1980م، ص: 138.

[2]– رومان جاكبسون: قضايا شعرية، تر: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، (ط.1)، 1988م، ص: 54.

[3]– إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (ط.4)، 2007م، ص: 74.

[4]– دير ملاك: دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، تح: محسن أطميش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (ط.2)، 1986م، ص: 343.

[5]– الشماخ: ديوانه، تح: صلاح عبد الهادي ص: 182.

Confidential

يقول الشّماخ أيضا:

فَظَلَّ يُنَـاجِـــــي نَفْسَـــهُ وَأَمِيرَهَـــــا أَيَـــأْتِـــي الذِّي يُعْطِـــــي أَمْ يُحَاوِزُ[1].

في هذا البيت نجد أنّ الشّاعر يتحدث عن الحالة النّفسية لبائع القوس ويظهر لنا الحوار الداخلي الذي يدور بين البائع ونفسه، ونجد أيضا تكرار صوت الهمزة دليل على التردد فالبائع متردد في بيع القوس وكأنّه خائف، فوظّف الشاعر مرة أخرى صوت الهمزة في الخوف في قوله:

إِذَا سَقَطَ الأَنْـــدَاءُ صِينَـــتْ وَأَكْرمَـــتْ حَبِيـــرًا ولـــم تُدْرَج عَلَيْهَـا المَعَـاوِزُ[2].

وقد زادت الهمزة في هذه الأبيات جمالا موسيقيا أثرت من دلالتها"فصوتية الحروف هي التي تشمل النغمات بما تمتاز به من تقطيع وتنغيم"[3].

كما نلحظ أنّ حرف الراء حضر بقوة في مواضع عديدة من القصيدة، فهو حرف مكرر يرمز لإيحاءات ودلالات مختلفة، ينطق به عبر طرق طرف اللسان لحافة الحنك طرقا ليّنا متراوحا بين الشّدة والرخاوة"[4].

يقول الشّماخ:

قَلِيـلَ التَّـلاَدِ غيْـــــرَ قَـــوْس وأَسْهُـــم كَـأنَّ الذِي يَرْمِـــي مِـــنَ الوَحْشِ تَـارِزُ[5].

رمز صوت الراء هنا إلى خفة الصياد، كان ملائما لهذا المعنى أكثر من غيره لأنّه خفيف في النطق، وهذا ما يميز الإيقاع الدّاخلي لأنّه يساهم في تحقيق موسيقى خاصة للقصيدة.

---

[1]- الشماخ: ديوانه،تح: صلاح عبد الهادي، ص: 189.

[2]- المصدر نفسه، ص : 193.

[3]- ماهر مهدي هلال: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث اللغوي والنقدي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (ط.1)، 1980م، ص: 133.

[4]- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 66.

[5]- الشّماخ، ديوانه، تح: صلاح عبد الهادي، ص: 183.

Confidential

ويقول أيضا:

فَقَـالَ لَـه: هَـل تَشْـتَـريهَـــا فَإِنَّـهَـــــا تُبَـــاعُ بِمَـــا بِيـــعَ التَّـلاد الحَرَائِـــزُ

فَقَـالَ: إِذَار شَـــر عَبـــــيّ وَاَرْبَـــــعُ مِـــــن السَيْـــــرَاء أَو أَوَاقَ نَـواحِـــزُ

ثَمَـــان مِـن الكِيـــرَىّ حُمْـــــــرٌ كَأَنَّهَـــا مـنَ الجَمْـرِ مَـا ذَكَى عَلَى النَّضَرِ خَابِـزُ

وَبَرْدَان مِـــن خَال وتِسْعُـــونَ دِرْهَمًـــــــا ومَعَ ذَاكَ مَقْـرُوظ مِـــن الجِلْـدِ مَاعِـــزُ[1].

نجد هنا حرف الراء متكرر إحدى عشر مرة والشّاعر يبيّن صورة البائع وهو يقدم ويعرض أموالا للبائع مقابل قوسه، لذا قام الشّاعر بتكرار حرف الراء لأنّ في تكراره قيمة تنغيمية.

ولقد شهدت قصيدة الزائية لغة شعرية قوية غنية بالحروف ولكل حرف ميزة يتميز بها عن الآخر، فنجد حرف النون هو الآخر قد أخذ حقه في أبيات الشّماخ في قوله:

نَمَت فِـي مَكَان كَنِّهَـا وَاِسْتَـــوَتْ بِـــهِ فَمَـــا دُونَهَـــا مِـــن غِيلهَـــا مُتَلاَحِـــزُ

فَمَازَالَ يَنْجُـــو كُـلَ رَطْـــبٍ يَابِـــــسٍ وَيَنْغلُّ حَتـــى نَالَهَـــا وَهُـوَ بَـــارِزُ[2].

في هذه الأبيات حرف النون يدل على الخصب والنّماء وظّفه الشّماخ بكثرة في قصيدته لأنّه يوظف الصوت لخدمة دلالاته والمعنى الذي يريده.

ب- الأبنية وعلاقات التراكيب ودلالتها:

يختص علم المعاني بدراسة الأبنية والتراكيب وتقسيماتها، وقد تتضح دلالات الترابط بين الأبيات سياقا وتركيبا في الكلام عموما، وفي الشّعر خصوصا ممّا يزيد الكلام حسنا وجمالا، ولا يكشف ذلك

[1]- الشماخ، ديوانه، تح: صلاح عبد الهادي، ص: 188.

[2]- المصدر نفسه، ص: 184.

Confidential

إلا أهل الفصاحة والذوق الرفيع، والتراكيب جمع "تركيب" ويطلق على مقابل الألفاظ، فإنّ اللفظ نوعان مفرد ومركب يقول عبد القاهر الجرجاني: "والألفاظ والترتيب"[1]، ومثل ذلك يقول امرؤ القيس:

قِفَا نَبْـــكِ مـــــن ذِكْرَى حَبيـبٍ ومَنْـزِلِسَقْطِ اللِـــوَى بَيْـن الدَخُـولِ فَحَوْمَـلِ[2].

فلو غيّرنا ترتيبه وقلنا: "منزل قفا ذكرى من نبك حبيب"، فبهذا الترتيب يحتل المعنى ويصبح غير متوازن، لذلك يبق الشعر الجاهلي يضّم أقوى المعاني والألفاظ وهذا ما نلمسه في زائية الشّماخ، ولعّل أكثر من وصف القسّي والسّهام هو أوس بن حجر فقد ذكرها في أبيات كثيرة حملت معان بليغة.

فيقول أوس في قصيدته المشهورة بوصف القوس:

ومَبْضُوعَـة مـــــن رَأْسِ فَـرْع شَظِّيـــةٍ وبِطَـــوْدِ تَـرَاه بِالسَّحَـــــابِ مُجَـلَلِّ

علـــى ظَهْـــرٍ صَفْـوَان كأنّ مُتُونَـــه عَلَلْـــنَ بِدَهْـــن يَزْلـــقُ المُتَنَـــزّلاَ[3].

كانت هذه الأبيات افتخارا لأسلحة الشّاعر، وقد عبّر عنها بصورة التنكير المتتابع، كلمة مبضوعة هي صفة للقوس، ويظهر حذف المسند والمسند إليه حيث التقدير: انتقيت قوسا مبضوعة، ويقول عبد القاهر الجرجاني عن الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[4].

---

[1]– الشيخ عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تعليق: الشيخ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (ط.1)، 1412هـ- 1992م، ص: 54.

[2]– امرؤ القيس بن حجر الكندي: ديوانه، لأبي الحجاج الشنتميري، تح: الشيخ أبي شنب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، (د.ط)، (د.ت)، ص: 08.

[3]–أوس بن حجر: ديوانه، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.3)، 1399هـ- 1979م، ص: 85-86.

[4]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: الشيخ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (ط.3)، 1413هـ- 1993م، ص: 136.

Confidential

فالشّاعر يزيد من بلاغة شعره عند استخدامه الحذف أو التنكير أو غيرهما، "فالتنكير يأتي للإفراد أو التعظيم والتهويل أو التحقير"[1].

وشظّية هي صفة المبضوعة دلّت على أنّها مقطوعة من هذا الفرع بكل حرس وعناية بعد طول تأمل، ثمّ انتقل أوس إلى وصف حال الراعي في قوله:

طْبَـق بهـــــــا راَعٍ يَحْـشِـــمُ نَفْسَـــــهُ لِيَكْلَـــئ فيهـــــا طَرَفَـــــهُ مُتَأَمَـــــــلاَ

فَلاَقَــى اِمْرَأً مـــــتن مَيْدَعَـــان وأَسْمَحَت قرُونَتَـــــــهُ باليَـــــأْسِ منهـا فَعَّجَـــــــلاَ[2]

هذا اشتمل أفعالا مضارعة، يطبق، يحشم، يكلئ والمعروف أنّ الأفعال المضارعة دليل على الاستمرارية وبيان تجدد هذا الأمر وتكرره، أمّا الفاء في كلمة (فلاقى) أشارت إلى أنّ هناك كلاما في نفس الرّاعي محذوفا، وقد عبّر عن ذلك بالفعل (لاق)، وكلمة (امرأ) دلالة للتعظيم والتفخيم، والمروءة والرجولة.

ثمّ أخذ أوس بن حجر في إبراز مراحل صنع القوس في قصيدته فاستعرض العديد من المعاني والتراكيب التي أجاد في صياغتها مشيرا إلى أنّه أقوى متمرس في صياغة الأسهم والنبال وأحسن في وصفها بدقة في شدّتها وسرعتها وقوتها.

أما عند الشماخ بن ضرار في وصف القوس:

فقد أبدع هو أيضا في جمع الشّماخ فهو يعتبره بمثابة الولد الذي يعتني به اعتناء عجيبا فهذا يزيد من سعادته فالنّظر إليها يقّر عينه ويبهج قلبه ونفسه، لذلك اعتبرت قصيدته الزائية من أشهر

[1]- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة -المعاني والبيان والبديع-، تر: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط.1)، 1426هـ-2006م، ص: 57-58.

[2]- أوس بن حجر: ديوانه، ص: 85-86.

Confidential

القصائد التي تحدثت عن القوس، وهي قصيدة فريدة من نوعها تضّم 56بيتا منها 23بيت يشير فيها إلى القوس والقوّاس.

يقول الشّماخ:

وذَاقَ فَأَعْطَتْـــــهُ مـــن اللِّيـــنِ جَانِبًـــا كَفَـــى، ولهَا أن يَغْـرِقَ السَّهْـمُحَاجِـزُ

إذا أَنْبـــضَ الرَّامُـــونَ عنهـــا تَرَنَّمَـــت ترَّنـــمَ تَكْلَـى أَوجَعَتْـــهَا الجَنَائِـــزُ

قَذُوفٌ إذا مـــــا خَالَـطَ الظَّبْيُ سَهْمَهَـا وإنِ ريـــعَ منهـَا أَسَلَمَتْهَـا النَوَاقِـــزُ

كَـــــأَنَّ عَلَيْهَـــا زَعْفَرَانًـــا تُمِيـــرُهُ خَوَازِنُ عَـــطَّار يَمَـــــان كَوَانِـــزُ

إذْ سَقَطَ الأَنْـــــدَاءُ صِينَتُـــهُ أُكْرِمَـــت حَبِيـــرًا ولـــم تُدْرَج عَلَيْهَـــا المَعَـــاوِزُ[1].

هذه الأبيات تبين لنا الوصف الدقيق للقوس الذي أظهره الشّماخ بها واهتمامه اهتماما كبيرا لا يقل فيه عن اهتمام أوس بن حجر، ولقد اتّضح لنا حبّه الكبير لها والولوع بها، وذلك من خلال المعاني البلاغية والألفاظ القوية، والأسلوب المتميز التي أثرت وأجزلت شعر الشماخ في قوسه وتعلقه بها، فكلمة (جانبا) ذكرها للتفخيم ويعبّر بصيغة الجمع (الرّامون الجنائز) للدّلالة على الكثرة والمبالغة، وفي قوله(تميره خوازن عطّار يمان كوانز) مبالغة في شدة اصفرار القوس، فاللّون الأصفر أيضا دليل على يفاع النبع الذي صنع منه القوس.

يقول ابن المقبل في وصف قوس الشريان:

خَفِـــيٌّ الشَخْص يَعْمِـــزُ عَجَـــــس فَرْع مِـــــن الشُرْيَـــان مرْزَام سَجُـــــوعُ[2].

[1]- الشّماخ بن ضرار الذبياني: ديوانه، تح: صلاح الدين الهادي، ص: 187.

[2]- ابن مقبل: ديوانه، تح: عزت حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1416هـ-1995م، ص: 130-131.

Confidential

فكلمة خفيّ فيها إبهام فهو يركز على صورة القوس ويجعل الرّامي مبهما والفعل (يعمز) في المضارع يستحضر به الصورة ويبّن التجدد والتكرار والتتابع.

ويقول أيضا كعب بن زهير في حديثه عن القوس:

أَخُـــو قَـتَـــــرَات لاَ يَـزَالُ كَأَنَّـــــهُ إذ لَـــم يَصـبْ صَيـدًا مـن الوَحْشِ غَارِمُ

يَقْلِـــــبُ حَشَــرَات وَيَخْتَـارَ نَابِـــــل مِـــــنْ الرِيّشِ من اِلْتَفَتَ عَلَيْـهِ القَــوَادِمُ

بَعْـــضٌ بِإِبْهَـــام اليَدَتَيْـــنِ تَنَدُّمًـــا ولَهَف سِـــــرًا أُمُّـــهُ وَهُـــــو نَـــادِمُ

وَقَـــالَ أَلَا فِـــــي حَبِيبة أَنْتَ مِـن يَـــد وَجَـــذٍ بِـــذي اِثْـــرَ بَنَانِكَ جَـــــاذِمُ

وَأَصْبحَ يَبْغِـــي نَصْلـــــــه ونَصِيَّـــــهُ فَرِيقَيـــنِ شَتَـــى وهـــو أَسْفَـــان رَاجِمُ[1].

الأفعال (يقلب، يختار، يعّض) تدل على الاستمرارية لأنّها أفعال مضارعة، وهنا يعتني الشاعر ويستمر في الاعتناء بالقوس يصلحها وينتقي لها ما يصلح من الريّش.

أمّا التعبير الماضي في قوله (لهف، جذّ، أصبح) هنا نجد انتقالا من الشّاعر وهو ما سمّاه بعض الدّارسين بالالتفات"وهو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأوّل، وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى خطاب ومن خطاب إلى غيبة، لأنّ الأول يعّم سائر الالتفاتات كلها، والحد الثاني إنّما هو مقصور على الغيبة والخطاب لاغير"[2].

وجاء في وصف الشنفرى لسهام صاحبه تأبط شرا بقوله:

لَهَـا وَفْضَـــــة فيهَا ثَلاَثُـــونَ سَيْحَفَـــا إذا آنَسَـت أُولَـــى العَـــدِّي اِقْشَعَـــرَتْ

[1]- أبو السعيد السكري كعب بن زهير: ديوانه، شرح ودراسة: مفيد قميحة، دار الشوّاف، (ط.1)، 1409هـ-1989م، ص: 44-45.

[2]- ابن الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلّق عليه: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج/2، ص: 144-145.

Confidential

وَتَـــــأتِـي العَـدِّي بَـــارِزًا تَصِفُ سَاقَهَـا تَجُـولُ كَعِيـــرَ العَانَـــة المُتَلَفِـــتْ

إِذْ فَزَعُـــــوا طَارَت بِأَبْيَـضَ صَـــــارِمٍ وَرَامَتْ بِهَـــا فِـــي جَفرِهَا ثُمّ سَلَّـــتْ[1].

في هذه الأبيات تظهر العناية والتأكيد على أن القوس لها لوازم لا تكمل إلا بها ومنها الجعبة المليئة بالسّهام وهذا واضح بشكل كبير في الأبيات وأشارت أيضا إلى الاستعداد الدائم للقوس من أجل الهجوم.

ومن هنا نجد أن الشاعريين قد أبدعوا في التحدث عن القوس والسّهم لأنها كانت معرض فرحهم واعتزازهم، وهذا ما يدل على مكانتها وتوفرها في ترحالهم، وتبرز ظاهرة التنكير في شعرهم للتفخيم والتعظيم للقوس والسّهام وتأثر الشّماخ الواضح بأوس بن حجر ووضوح سمة بارزة بين الشاعريين بتفردهما في بيان تفصيل القوس منذ أن كانت تبعة حتى صارت قوسا أداة في أيدي الرماة.

ج–الجملة الفعلية والجملة الاسمية:

لقد غلبت الجملة الفعلية في القصيدة الجملة الاسمية وبشكل كبير، ومن المعروف أنّ الجمل الفعلية تدل على التجدد والحدوث، أما الاسمية تدل على السكون والثبات، والشماخ دور كبير في استعماله لهذه الجمل حتى يستطيع الوصول إلى دلالته التي يبتغيها.

فهو المتمكن الوحيد الذي يقوم بتغليب إحداهما على الأخرى، فالجملة الفعلية"تدل على تجدد سابق وحاضر"[2]، فهي تقوم بإنشاء العلاقات التركيبية وهذه العلاقات تكون إلا بطريق التركيب النحوي،"فهو الوسيلة المباشرة التي أعدتها اللغة لنشوء المعنى الدلالي للجملة"[3].

---

[1]– الشنفرى: ديوانه، جمعه وحققه: ايميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، (ط.2)، 1417هـ–1996م، ص: 36.

[2]–فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية –تأليفها أقسامها–، دار الفكر، عمان، الأردن، (ط.2)، 2007م، ص: 123.

3– مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة، الشركة العالمية للنشر، دار فوبار للطباعة، القاهرة، مصر،(ط.1)،1997م، ص: 131.

Confidential

لذلك نجد الفعل الماضي قد غلب على الفعل المضارع بل خللّه بين الأبيات لأنّه يدل على الحركة ويوحي بالتفاعل والصراع.

يقول الشماخ:

وحَلاَهَـــا عـــن ذِي الأَراكـــة عَامِـــــــرُ أَخُـو الخضرِ يَرْمِـي حَيثُ تُكْوَى النَّوَاحِـزُ[1].

في هذا البيت يشير الشاعر إلى مصادفة الصائد للأتن عند مورد الماء-عامر-فعندما قان برمي السّهم امتنعت الأتن من شرب الماء خوفا من السهم، وقد رمز الشّاعر للموت بالقانص المشهور(عامر).

وهذا ما دعا للشاعر دور هام أيضا في إثارة الانتباه، وبعد هذا البيت يستطرد الشماخ في وصف القوس منذ أن كانت غصنا في الشجرة حتى صارت قوسا.

قائلا:

تَخَيَّرَهـــا القَوَاسُ مـــــن فَرْعِ ضَالـــةٍ لهـــا شَذْب مـــن دُونِهَـا وَحَوَاجِـزُ[2].

يصور الشاعر اختيار القواس للشجرة التي سيصنع منها القوس ويعبر عن مدى الصعوبة التي واجهته فكانت الجمل الفعلية أنسب في التعبير عن هذه الحالة الشاقة التي عاشها القواس والتعب أثناء حصوله على القوس.

الشاعر عززّ من قوة الموت ويشير أيضا إلى قيمة الحياة، فالحياة جميلة بحركتها ونشاطها وحيويتها، فنلمس نوعا من المبالغة هنا، فهو يُعلي من قيمة الحياة ويذكر دوما أنّ القوس أداة خطر وبالتالي وسيلة وسبب في الموت.

[1]- الشماخ: ديوانه، تح: صلاح عبد الهادي، ص: 182.

[2]- المصدر نفسه، ص: 184.

Confidential

يقول الشماخ أيضا:

نَمَتْ فـــي مَكـــَان كَنِّهَـــــا واسْتَوَتْ فَمَـــا دُونهـــاَ مـــن غَيْلِهَـــا مُتَلاحِزُ

فَأَحْنَـــى ذَات حَـــــدّ غرَابهَـــــا عَدُو لَا وِسَـــــاطَ العُضـــاه مَشَـــارِزُ[1]

يعود الشاعر في هذه الأبيات إلى التذكير في صنعه للقوس، وإلى الجهد الكبير الذي بذله في قطع المسافة البعيدة حتى يصل إلى مبتغاه، وبفصل لنا المراحل التي مرّ بها خلال صنعه للقوس، من حيث تجفيفها وبيعها حتى تصير سلاحا في يد الصائد، كما أنّ للبيئة حضورا بالغا في القصيدة من خلال الألفاظ والمعاني واللغة المستعملة الدالة على ذلك.

لقد زادت الجمل الفعلية من إثراء القصيدة والوصول إلى المعنى الذي يبتغيه الشاعر فحركتها وتجددها يتلاءمان مع التعبير والتصوير "ويصفان الصراع"، الموجود في الطبيعة، لذا يأخذ الصراع القوة المتحادثة ، ونجد صورة الحمار الوحشي وهو يغار عن أتنه ويحاول الدفاع عنها وخوفه عليها من سهام الصائد رمزا وتمثيلا لسلطة الرجل على المرأة في ذلك الوقت، فكانت الجمل الفعلية أنسب للتعبير عن هذه المعاناة وإشباع الذوق الفني وارتبطت ارتباطا وثيقا ببيئة الشاعر ونفسيته.

نلحظ في القصيدة طول الزمن فتلك المعاناة غرضها تعميق لخطاب الخوف والفزع وصولا إلى الأمان والاستقرار من خلال الأفعال الماضية (زال، اطمأن، رأى) إلى الأفعال المضارعة(ينجو، ينغل)مشيرا لنا عن قوة الصراع الذي نجم، ونجاة الأتن من قوس الصياد وفوز الحياة على الموت.

كما أخذت الأفعال المضارعة مجالا هي أيضا في قصيدة الشماخ في قوله:

فَمَـــا زَالَ يَنْجُـــو كل رَطْـــبٍ وَ يَـــابِسٍ وَيَنْغَلُ حَتَـــى نَالَهَـــا وهو بَـــــارِزُ[2].

الفعلان(ينجو، ينغل) هي أفعال مضارعة تعبر عن الحيوية.

[1]- الشماخ: ديوانه، تح: صلاح عبد الهادي، ص: 184-185.

[2]- المصدر نفسه، ص: 184.

Confidential

يقول أيضا:

فَظَلّ ينَاحـــــي نَفْسَـــــــه وَأَميرَهـــــــاَ أَيَأتِـــــي الذي يُعطِـــي بهَا أم يُحاوزُ؟[1].

هذا البيت احتوى على أربعة أفعال مضارعة عبرت عن نفسية الشاعر وردة فعل القواس حين بيعه لقوسه، وهنا نجد أنّ الشاعر قد وظّف الأفعال الماضية أكثر من الأفعال المضارعة لأنّ الماضي يصف حدثا قديما يزيد من فاعلية الأبيات والشاعر المتمكن هو من يجعل الألفاظ خادمة لدلالته، فالشماخ نجح في رسم لوحة فنية للواقع، وكانت الحياة هي الفائز الوحيد فيها.

د–الصور البيانية ودلالتها:

مما لاشك فيه أنّ الشعر العربي الأصيل لا يخلو من الصور البيانية، لأنّها تزيد من إثراء النص الشعري جماليته، فنجد الشعراء يتفننون في استخدام هذه الصور من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية ويسعون جاهدين إلى التنويع فيها لتعزيز قيمة النص الشعري.

لذلك نجد حضورها بكثرة داخل القصيدة لأنّ الشاعر وهو يستعرض قوة القوس والسهام، ويصفهما بصفات متعددة يجب عليه اللجوء إلى علم البيان حتى يستطيع التعبير عمّا يريد، فالكناية عند البلاغيين،"أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة"[2]، فالكناية تعتبر من الظواهر البلاغية الكثيرة الاستعمال، وهي تستحوذ جلّ ما ورد حول وصف القوس والسّهام، أما التشبيه فهو "عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم"[3]، فهو الآخر يساعد الشاعر على الوصف الدقيق وإضافة الجمال البلاغي للنّص الشعري.

كما تعتبر الاستعارة غرضا يلجأ إليه الشاعر لإحياء شعره، يقول عبد القاهر الجرجاني: "إنك لترى بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبنية والمعاني الخفية بادية جلّية"[4].

---

[1]– الشماخ: ديوانه، تح: صلاح عبد الهادي، ص: 189.

[2]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،ص: 66.

[3]– عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص: 43.

[4]– المصدر نفسه، ص: 43.

Confidential

Confidential

يقول الشماخ:

وَحَلأَهَـــا عَـــــنْ ذِي الأَرَاكَـــةِ عَامِــرُ أَخُــو الخضـرِ يَرْمِــي تُكْوَى النَوَاحِــزُ.[1]

في هذا البيت تتضح صورة بلاغية زادت من جمال القصيدة إبداعا وتميزا وإمتاعا، فلفظة –عامر– استعارة تصريحيه، هنا شبه الشاعر نفسه بالقانص المشهور عامر، ثم حذف المشبه به له، ثم قام الشماخ مرة أخرى بصورة تشبيهيه رائعة، حيث شبه هيئة الحيوان وهو يرميه بالسهم بهيئة حيوان آخر ميت وجامد لا يتحرك، ووجه الشبه هو الهيئة الدالة على دقة الرامي خلال رميه للسهم.

يقول الشماخ أيضا:

مُطِلاً بِـــزُرْقٍ مَـــــا يُــدَاوي رَمِيهَـــا وَصَفْـــــرَاءَ مِـــنْ نَبْعٍ عَلَيْهَـــا الجَلاَئِزُ.[2]

عليها الجلائز: هنا كناية عن قوة صنع القوس وجودته.

ويقول أيضا:

فَلَمَ اطْمأَنَتْ فـــي يَدَيْـــه رأْيٌ عَنـــي أَحَـــاطَ بـــه وَازْوَر عَمَّـــنْ يُحـــاوِزُ.[3]

هنا نلتمس المجاز المرسل في كلمة (غنى).

ويقول أيضا:

وَذَاقَ فَأَعْطَتْـــهُ مِـــــن اللِّيـــنِ جَانِبـــاً كَفَـــى، وَلَهَـــا أن يَغْـــرَقَ السَهمُ حَاجِـــزُ

إِذَا أَنْبَضَ الرَامُـــونَ عَنْهَـــا تَرَنَمَـــتْ تَرَنَّمَ ثَكْلـــى أَوْجَعَتْهـــا الجَنَائـــــزُ

قَذُوفٌ إِذَا مـــا خَالَـــطَ الظَبي سَهْمَهَـا وإن رِيغَ منهَـــا أَسْلَمَتْـــهُ النَّواقِـــزُ

---

[1]–الشماخ: ديوانه، تح: صلاح عبد الهادي، ص: 182.

[2]– المصدر نفسه، ص: 182.

[3]–المصدر نفسه، ص: 182.

كـــــــأَنَّ عَلَيهَـــا زَعْفَرانـــاً تُميـــره خَـــــوَازِن عَطَار يمـــــــان كَوَانِـــــزُ

إِذَا سَقَـــــطَ الأَنْدَاءُ صينَـــتْ وأُكْرِمَـــتْ حَبيـــــرًا ولم تُدْرَج عَلَيَهَـــا المَعَـــاوِزُ[1].

وفي هذه الأبيات أيضا نجد الاستعارة والتشبيه حاضرين بقوة، فالشاعر بلغ مقصده من خلال هذه الظواهر البلاغية التي عبرت عن اهتمام الشاعر بالقوس، ورسمت معاناته في كسبها حتى صارت عطرا مكنوزا لا بد المحافظة عليه، فقد أوحت هذه الظواهر إلى الجودة والإتقان في صنع القوس، وبراعة الرامي بها، ولما لقيته من عناية وحب عند الشاعر خاصة والجاهليين عامة، مما جعل التشبيه والاستعارة والمجاز روابط وضّحت العزة والغنى والفخر والقوة.

هـ-المحسنات البديعية ودلالتها:

لم يفرق القدماء بين الفصاحة والبلاغة فكلها ألفاظ مترادفة، فعلم البديع هو أحد العلوم البلاغية الثلاثة، أكثر منه الشعراء وأفرطوا في استخدامه، وقد ذكرت كلمة البديع في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[2].

والبديع في الشعر الجاهلي يأتي سليقة دون تصنع وتكلف قال صاحب الطراز: "اعلم أن هذا الفن من التصرف في الكلام مختص بأنواع التراكيب ولا يكون واقعا في المفردات، وهو خلاصة علمي المعاني والبديع والبيان ومصاص سكرهما"[3]، فالبديع مصور دقيق يجعل القارئ معايشا للحدث ومتذوقا للنصوص الشعرية.

يقول الشماخ:

مُطِلاً بزُرق مَـــا يُـــــدَاوِي رَميهَـــــا وَصَفْـــــرَاء مـن نَبْع عَلَيْهـــا الجَلاَئـــزُ

[1]- الشماخ: ديوانه، تح: صلاح عبد الهادي، ص: 182.

[2]- سورة البقرة: آية: 117.

[3]-الإمام يحي ابن حمزة بن إبراهيم العلوي اليمني: الطراز، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة المصرية صيدا، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1423هـ-2002م، ج/3، ص: 194.

Confidential

فمَـــــازَالَ كـــــلُ رَطْـــــبٍ وَيَـــــابِسٍ وَيَنْغَـــــــل حتَـــــى نَالَهَـــــا وهـــي بَـــارِزُ

قذوفٌ إذَا مَـــــــــا خَالَـــــطَ الظَّبَـــــي وإن رِيـــــعَ منهَـــــــا أَسْلَمَتْـــــهُ النَّوَاقِـــزُ[1].

في هذه الأبيات تتضح لنا صورا بديعية:

في البيت الأول نجد (بين زرق وصفراء) مدح وكناية في آن واحد حيث كنى عن سهامه بلون الزرقية ومادحا قوسه الصفراء التي هي دلالة على أجود أنواع القسيّ ونجد في البيت الثاني طباق إيجاب بين (رطب، ويابس)، أما البيت الثالث نجد مبالغة في قوله: (أسلمتها النواقز)، لأنّ الصيد لا يجد مهربا ولا ملاذا لإنقاذ نفسه من القوس.

[1]-الشماخ: ديوانه، تح: صلاح عبد الهادي، ص: 192-193.

Confidential

Confidential

خاتمة:

وفي نهاية بحثنا هذا خلصنا إلى مجموعة من النتائج، كانت حوصلة عن الموضوع برمته، ومن أهمها مايلي:

- ✓ أنّ الصورة الشعرية عبارة عن مرآة عاكسة للواقع المعاش، وذلك بأسلوب فنّي منمق، وأداة قوية في يد الشاعر، وسلاحه الذي يفتك به أعداءه، إضافة إلى كونها من أهم العناصر في الإبداع الشعري، إن لم يكن أهمها عل الإطلاق، فهي المحك الحقيقي لأي شاعر للوقوف على مدى مقدرته على الإبداع.
- ✓ لقد كانت الحرب من أهم العوامل لنبوغ الشعراء،إضافة إلى كونه موضوعا قد أسيل فيه الحبر بكثرة، فكانت معقد كل فارس، وشاعر مغوار، قد تشبع آلام وأهواء الصحراء، فجعل من شعره السبيل الوحيد للتعبير عن أمجاد، وبطولات حافلة بالفخر والاعتزاز.
- ✓ كان القوس من جملة الأدوات التي حظيت باهتمام بالغ من قبل العرب، وخاصة فئة الشعراء، فكانت رفيقة دربهم في حربهم وسلمهم، ومعقل آمالهم، فجعلوا منها رمزا للشجاعة، والبسالة والإقدام نحو المهالك.
- ✓ فنجد لامية العرب للشنفرى من أجود القصائد، التي أوجزت بالوصف الدقيق لهذه الأداة، مع التمعن في ميزاتها، وصفاتها، فكانت حياة الشنفرى مليئة بالأحداث والتناقضات، والأحداث الجسام، مما أثر بالتالي على حياته وشعره.
- ✓ شكلت زائية الشماخ المشهد الأكبر في رسم معالم القوس، ودلالاته، وكذا نحت صوره المختلفة المترامية في أعماق البادية الصحراوية.
- ✓ وظف الشماخ جملة من الأساليب والتراكيب الفنية، التي تبرز هذه الصورة العميقة للقوس، فنجده استعمل البحر الطويل، لفتح المجال للتعبير عن هذه التجربة وللاسترسال في سرد أحداثها، وخدمة للنص مباشرة، إضافة إلى التكرار الذي يقدم إيقاعا متسقا، منبعثا من الحالة الشعورية للشاعر، وذلك تعزيزا لدلالاتها النصية.

Confidential

خاتمة:

وبهذا شكلت القوس رمزا للحياة، والتسالي في حياة العربي، فقد عبر الشماخ بقصيدته عن البعد الجمالي والفني لهذه الأداة، كاشفا عن الجوهر الثمين في الشعر العربي.

Confidential

قائمة المصادر والمراجع

Confidential

- **القرآن الكريم برواية حفص.**

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر:**

أ-الكتب:

1) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

2) ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن: العمدة في نقد الشعر، شرح وضبط: عنيف حاطوم، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.2)، 2006م.

3) ابن رشيق القيرواني: العمدة في نقد الشعر، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج/02.

4) ابن سلام: كتاب السلاح، تح: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، (د.ت).

5) ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل: المخصص، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

6) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ط)، (د.ت)، ج/09.

7) أبو تمام: كتاب الحماسة، شرح: أبو علي بن الحسن المرزوقي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1411هـ-1991م، المجلد01.

8) أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشنفرى، السلفية، (د.ط)، (د.ت).

9) أبو علي القالي: الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط.1)، (د.ت)، ج/01.

Confidential

10) أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، تح: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.3)، 2008م، ج/09.

11) أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

12) أبو هلال العسكري: الصناعتين، تح:مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1981م، ج/01.

13) أبو هلال العسكري: الصناعتين-الكتابة والشعر-، تح:علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

14) الإمام يحي بن حمزة إبراهيم العلوي اليمني: الطراز، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة المصرية صيدا، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1423هـ-2002م، ج/03.

15) الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشرت: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، صححه وعلق عليه: د.ف كرنكو، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط.3)، (د.ت).

16) البحتري: كتاب الحماسة، مقدمة المحقق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1423هـ-2002م، ج/01.

17) الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1982م.

18) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة-المعاني والبيان والبديع-، تر: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط.1)، 1426هـ-2006م.

19) السكري أبو سعيد الحسن بن الحسين: شرح أشعار الهذليين، تح: عبد الستار فراج، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج/01.

Confidential

20) الصدفي: الغيث المسجم في شرح لامية العجم، المطبعة الأزهرية، القاهرة، مصر، (ط.1)، 1989م، ج/01.

21) الطبري أبو جعفر محمد بن حرير: الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1407هـ-1986م، ج/03.

22) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تعليق: الشيخ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (ط.1)، 1412هـ-1992م.

23) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: الشيخ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (ط.3)، 1413هـ-1993م.

24) القلقشندي أحمد بن علي: صبح الأعشى، مطبعة الميرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1913م، ج/02.

25) كمال أبو ذيب: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، (ط.1)، (د.ت).

26) محاسن بن إسماعيل بن علي الحلبي: شرح شعر الشنفرى الأزدي، تح: خالد عبد الرؤوف، (د.ط)، (د.ت).

27) محمد شكري الألوسي: بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، عني شرحه وضبطه: محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط.2)، (د.ت)، ج/02.

28) المفضل الظبي: المفضليات، تح: أحمد شاكر عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، (ط.7)، (د.ت).

29) يوسف شكري فرحات: شرح ديوان الصعاليك، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1992م.

ب- الدواوين:

Confidential

30) ابن الخطيم: الديوان، تح: ناصر الدين الأسد، طباعة دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1967م.

31) ابن مقبل: الديوان، تح: عزت حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1416هـ-1995م.

32) أبو السعيد السكري كعب بن زهير: الديوان، شرح ودراسة: مفيد قميحة، دار الشواف، (ط.1)، 1409هـ-1989م.

33) أبو داؤود الإيادي: الديوان، تر: إحسان عباس وآخرون، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1959م.

34) الأسدي بشير بن أبي حازم: الديوان، تح: عزت حسن، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، (ط.2)، 1972م.

35) الأعشى الكبير: الديوان، تح: محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1974م.

36) امرؤ القيس بن حجر الكندي: الديوان، لأبي الحجاج الشنتميري، تح: الشيخ أبي شنب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائي، (د.ط)، (د.ت).

37) أوس بن حجر: الديوان، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.3)، 1399هـ-1979م.

38) حسان بن ثابت الأنصاري: الديوان، تح: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1974م.

39) الحطيئة: الديوان، شرح: ابن السكين، دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1413هـ-1993م.

40) زهير بن أبي سلمى: الديوان، شرح وتقديم: حسن علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1408هـ-1988م.

Confidential

41) زهير بن أبي سلمى: الديوان، شرح: صنعة ثعلب، دار الكتب المصرية، (د.ط)، 1415هـ-1994م.

42) زهير بن أبي سلمى: الديوان، صنفه: الإمام أبي العباس الشيباني ثعلب، طبعة عن دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ط)، 1944م.

43) الشماخ بن ضرار الذبياني: الديوان، تح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1388هـ-1968م.

44) الشماخ بن ضرار الذبياني: الديوان، شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة العادة، مصر، (د.ط)، 1327هـ- 1906مز

45) الشنفرى الأزدي: الديوان، جمع وتحقيق: ايميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربية، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1417هـ-1996م.

46) طرفة بن العبد: الديوان، تح: علي الجندي ، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، (د.ت).

47) طفيل الغنوي: الديوان، شرح: السجستاني الأصمعي، تح: كرنكاو، لندن، بريطانيا، (د.ط)، 1967م.

48) عبيد بن الأبرص: الديوان، تح: سير شارليس ليال، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).

49) عمرو بن كلثوم: الديوان، تح: كرنكاو، المطبعة الكاثوليكية، (د.ط)، 1922م.

50) عنترة بن شداد العبسي: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1416هـ-1995م.

51) عنترة بن شداد العبسي: الديوان، دراسة علمية محققة على 6نسخ مطبوعة، تح: محمد سعيد مولوى، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1970م.

Confidential

52) لبيد بن ربيعة العامري: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، مجلد01.

53) المهلهل بن ربيعة: الديوان، تح: طلال حرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1990م.

54) النابغة الذبياني: الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).

55) الهذلي: ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، طبعة دار الكتب، (د.ط)، (د.ت).

ج– المعاجم:

56) ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، المجلد03.

57) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، المجلد02.

58) عبد الفتاح الصعيدي والحسين يوسف موسى: الإفصاح في فقه اللغة، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، (ط.4)، (د.ت)، ج/01، المجلد01.

المراجع:

59) إبراهيم بن عبد الرحمان الغنيم: الصورة الفنية في الشعر–مثال ونقد–، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط.1)، 1996م.

60) إبراهيم نيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، (ط.4)، 2007م.

61) أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ط.10)، 1969م.

Confidential

62) أدونيس: كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، لبنان،(ط.1)، 1989م.

63) الجعافرة ماجد: الشعر الجاهلي، دار الكندي، الأردن، (ط.1)، 2003م.

64) جوزيف ميشال شريم: دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1984م.

65) حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي-قضايا وفنون ونصوص-، دار الوفاء لدنيا الإسكندرية، مصر للطباعة والنشر، (ط.1)، 2002م.

66) دير ملاك: دراسة نقدية، في الشعر العراقي المعاصر، تح: محسن أطميش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (ط.2)، 1986م.

67) رومان جاكبسون: قضايا شعرية، تر: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، (ط.1)، 1988م.

68) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي-العصر الجاهلي-، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط.23)، (د.ت).

69) صفاء خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، مطابع دار الكتب، بيروت، لبنان، (ط.4)، 1974م.

70) طلال حرب: ديوان الشنفرى ومعه ديوان السليك بن السلكة، وديوان عمرو بن براق، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط.1)، 1996م.

71) عبد الإله الصائغ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية-القدامة وتحليل النص-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط.&)، 1997م.

72) عبد الحليم حنفي: شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى، مكتبة كلية الآداب، القاهرة،مصر،(ط.1)، 2008م.

73) عبد الرحمان بدوي: في الشعر المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (ط.2)، 1980م.

Confidential

74) عبد الرحمان عفيف: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982م.

75) عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1963م.

76) عفيفي محمد الصادق: النقد التطبيقي والموازنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (ط.1)، (د.ت).

77) علي أحمد الخطيب: فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار اللبنانية، (ط.1)، 1424هـ- 2004م.

78) علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (ط.1)، 1982م.

79) علي بوملحم: في الأدب وفنونه، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

80) عون عبد الرؤوف: الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعرف، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1961م.

81) فاضل ثامر: الصوت الآخر-الجوهري الحواري للخطاب الأدبي-، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، العراق، (ط.1)، 1992م.

82) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية-تأليفها أقسامها-، دار الفكر، عمان، الأردن، (ط.2)، 2007م.

83) قتيبة الشهابي: صمود دمشق أمام الحملات الصليبية، وزارة الثقافة السورية، (ط.1)، 1998م، المجلد01.

a. للطباعة، القاهرة، مصر، (ط.1)،1997م.

Confidential

84) ماهر مهدي هلال : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث اللغوي والنقدي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (ط1)، 1980م.

85) محمد الدمنهوري: المختصر الشافي على المتن الكافي، دار المعرفة، المغرب، (د.ط)، (د.ت).

86) محمد زغلول سلام: مدخل إلى الشعر الجاهلي (دراسة في البيئة والشعر)، مطبعة الانتصار، (د.ط)، (د.ت).

87) مرشد الزبيدي: بناء القصيدة في النقد العربي القديم والمعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (ط.1)، 1994م .

88) مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة، الشركة العالمية للنشر، دار فوبار.

89) منذر ذيب كفاني: الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، (ط.1)، 2006م.

90) الهادي صلاح الدين: الشماخ بن ضرار الذبياني-حياته وشعره-، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1988م.

91) هندي إحسان: الأسلحة وآلات القتال عند العرب في القرون الوسطى، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2004م.

92) هندي إحسان: الحياة العسكرية عند العرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1964م.

93) وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعارف، (د.ط)، 1416هـ-1996م.

Confidential

94) يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط.3)، 1978م.

الرسائل الجامعية والدوريات:

95) البشير إبراهيم أبو شوفة: الصورة الشعرية في لامية العرب، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد01، العدد05 يونيو، 2016م.

96) حرشاوي جمال: الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى أنموذجا)، رسالة دكتوراه، جامعة وهران،2016م.

97) دعاء طه حسين محمد علي: أدوات القتال المعدنية الإيرانية والتركية، المحفوظة بمجموعة متحف قصر العابدين، القاهرة، مصر، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2004م.

98) رحيمة شيتر: بنية الخطاب الشعري في لامية العرب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 1424هـ-2003م.

99) سلامه السويدي: القوس في الشعر الجاهلي والإسلامي، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد21، 1419هـ-1998م.

100) طارق عبد الحليم: دراسة مقارنة في الشعر العربي...القوس العذراء-مثالا-، 26 ديسمبر 2017م، 08 ربيع الثاني 1439هـ.

101) محمد الهادي الطرابلسي: في مفهوم الإيقاع، حوليات الجامعة التونسية، عدد32، 1991م.

102) محمد حسن أبو ناجي: الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، دراسة نقدية تتناول حياة الشاعر ومذهبه، وتحليل اللامية والتائية، دار الشروق، وجدة، السعودية، (د.ط)، (د.ت).

Confidential

فهرس الموضوعات

Confidential

فهرس الموضوعات:

كلمة شكر

الإهداء

مقدمة ..... أ

مدخل 06

الفصل الأول: الصورة والقوس في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: الصورة الفنية والحرب في الشعر الجاهلي 13

1- مفهوم الصورة الفنية 13

2- أهم الصور في الشعر الجاهلي 15

3- الحرب في الجاهلية 19

المبحث الثاني: أدوات القتال 24

1- السيف (مفهومه- أسماؤه) 24

2- الرمح (مفهومه- أسماؤه) 28

3- القوس(مفهومه- صفاته) 32

4- السهام (مفهومه) 35

5- الدرع(مفهومه) 36

6- الخنجر(مفهومه) 37

Confidential

المبحث الثالث: اقوس في لامية العرب 38
1- الشنفرى 38
2- مضمون القصيدة 39
3- ملامح القوس في لامية العرب 43

الفصل الثاني: الشماخ وزائيته (دراسة وتحليل)

المبحث الأول: نبذة عن الشماخ بن ضرار 50
1- نشأته وحياته 50
المبحث الثاني: مضمون القصيدة 58
1- القصيدة 58
2- محتوى القصيدة 61
المبحث الثالث: دراسة وتحليل زائية الشماخ 68
1- دراسة القصيدة أ- المستوى الإيقاعي 68
ب- الأبنية وعلاقات التركيب ودلالتها 73
ج- الجملة الفعلية والجملة الإسمية 78
د- الصورة البيانية ودلالتها 81
هـ- المحسنات البديعية ودلالتها 83
خاتمة 86

Confidential

قائمة المصادر والمراجع 89

فهرس الموضوعات 100

Confidential

ملخص المذكرة:

الكلمات المفتاحية:

الشعر الجاهلي، القوس، القواس، الصورة الفنية، أدوات القتال والحرب، زائية الشماخ، الطريدة.

المذكرة عبارة عن تأصيل لمعالم القوس، والبحث في مكنوناته الخفية، وكذا معانيه العميقة المتناثرة في أعماق البادية الصحراوية، وهي دراسة تحليلية وصفية، اشتملت على مقدمة، مدخل، وفصليين ، وخاتمة.

المدخل: لمحة وجيزة عن الشعر الجاهلي وأغراضه، والإشارة إلى الحرب في القديم،الفصل الأول: جمع بين الصورة الفنية والأدوات القتالية بصفة عامة، وإبراز صور القوس في لامية العرب للشنفرى، الفصل الثاني: أشار إلى حياة الشماخ، ودرس محتوى الزائية، وتعرض إلى تحليلها ودراستها، الخاتمة: لخصت أهم نتائج البحث.

تكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن جواهر الشعر الجاهلي والقيم الفنية والجمالية بصفة خاصة في أداة القوس كونها ذات دلالات مختلفة ومتعددة.